
Maktbah.Net
الزوجة المدللة
كامل مهدي
مجلة الابتسامة
كتاب الغد
** معرفتي **
www.ibtesamah.com/vb
منتديات مجلة الإبتسامة
حصريات شهر يناير ٢٠١٩

كامل مهدي



الزوجة المدللة


الزّوجة المدلّلة
بقلم الكاتب العالمي
تنيسي ويليامز
كتاب
الغد
مجموعة كتب أدبية
شعارها : القراءة للمتعة



مؤسسة كامل مهــدى

للطباعة والنشر والتوزيع

١٤ شارع عماد الدين ـ القاهرة

الفصل الاول

راح « أرتشى لى » يذرع غرفته حافى القدمين ٠٠ حائرا غاضبا متوتر الاعصاب ٠ وكان فى أثناء سيره ، تصطدم احدى قدميه بين الحين والاخر بحذائه أو جوربه أو قطعة أخرى من ثيابه المبعثرة فى أرجاء الغرفة فيزمجر غاضبا ، ويقذفها بقدمه بعيدا عن طريقه ، ويظل يدور فى غرفته كالنمر الحبيس فى قفص فى حديقة الحيوان ٠

كانت أعصابه تغلى كالمرجل ٠٠ منذ شهور !

كان يعيش فى هذا البركان منذ تزوج من « بيبى دول » ٠ وظل يضرب رأسه فى كل ليلة ، وفى كل صباح ٠٠ يوما بعـــد يوم ، واسبوعا بعد اسبوع ، وشهرا بعد شهر ٠ ولم يكن هناك من سبيل الى اراحة أعصابه وتهدئة نفسه وتفريج همــه الا بملاطفة زوجته « العذراء » واقناعها بأن تسمح له بأن يعيشا معا كزوجين حقيقيين٠

ولكنها لم تكن تقبل حتى أن تناقش هذا الموضوع ٠ وكانت تستمع اليه وهى تدق الارض بقدمها دقات رتيبة تنم عن الملل حتى اذا ما انتهى من توسلاته وتضرعه اليها ، كانت تغمض عينيهـــا الفاتنتين ، وتشبك ذراعيها على صدرها ، وتقول له فى هدوء شديد مبالغ فيه يفتك بأعصابه فتكا ذريعا :

ــ اذا كنت رجلا شريفا ٠ فينبغى عليك أن تحفظ العهد الذى قطعته على نفسك ٠٠ وينبغى أن تبر بقسمك ٠٠

فتنبعث من آرتشى لى صيحة مدوية ، ويخرج من البيت ويعدو فى الحديقة كمن أصابه مس من الجنون ٠ ويظل يعدو حتى يصل الى شجرة كبيرة يرتمى تحتها وهو يخور كثور هائج ٠٠ ويروح يفكر فى حل يخلصه من هذا المأزق ٠

لم يكن ثمة تناسب على الاطلاق بين الزوجين ٠

فآرتشى لى رجل ضخم طويل القامة عريض المنكبين ، محدود الثقافة ، محدود الأفق ٠ يمكن أن يعتبره البعض غبيا ساذجا ، وان كان معظم الذين عرفوه يعتقدون ان تصرفاته الحمقاء ليس مرجعها الى البلاهة ، وانما الى كسله ٠ فى حين يذهب آخرون الى أن الرجـل مسكين ، وانه لو وفق الى التخلص من المأزق الذى أوقع نفسه فيه عندما تزوج من « بيبى دول » لانتظمت أحواله ، وسارت أعمـــاله سيرا طيبا كما كانت عليه قبل هذا الزواج الغريب ٠

ولكن الواقع أن آرتشى لى كان منذ صباه لا يستطيع أن يواجه مشكلة من المشكلات ٠ وانما كان يدور من حولها لكى يتفاداها ، ثم يرجىء حلها الى اليوم التالى ٠ فاذا جاء اليوم التالى ، حاول أن يفعل ما فعله فى أمسه ، ويروغ مرة أخرى من مواجهة المشكلة ، وهو يأمل أن تسوى هذه المشكلة نفسها على وجه من الوجوه ٠ فتتفاقم المشكلة، وتزداد تعقيدا يوما بعد يوم ٠ وبدلا من أن يواجه مشكلة بسيطة يمكن حلها ، يرى أنه أصبح يواجه مشكلة معقدة تتعذر تسويتها ٠

وهكذا ٠٠ أضاع محلج القطن الذى يملكه ويديره على الرغم من أنه كان يعود عليه بأرباح طيبة ٠ وكان فى مقدوره أن يتلافى هـذه النتيجة السيئة لولا انه كسول ٠ ولم يصلح القطع التى تلفت من آلاته فتوقفت حركة العمل فى المحلج ، ولم يعد للعملاء ثقة فى رجل يعمل يوما وينام أياما ٠٠ فتركوه وذهبوا الى المحالج الاخرى ٠

وبهذه الطريقة أيضا أضاع أثاث منزله القديم ٠٠ واشترى أثاثا جديدا بالتقسيط بعد أن تزوج بيبى دول ، ولكنه لم يكن يســـدد الاقساط فى حينها ٠٠ ثم توقف عن الدفع عندما تعطل المحلـــج وأصبحت شركة الاثاثات تهدده بأن تأخذ الاثاث ، وأن كل ما دفعه من أقساط سيضيع عليه ٠٠ وفقا للعقد المبرم بينهما ٠

أما بيبى دول فكانت على نقيض هذا كله . فلم يكن الكسل من طبيعتها ، ولكنها بعد أن تزوجت آرتشى لى وجدت أن العمل والكسل سيان .. والنتيجة واحدة .

وكانت تحاول فى بادىء الامر أن تنظف البيت ، ولكنه كان بيتا قديما كبيرا .. أكبر بكثير من حاجتهما . وكانت بعض جدرانه توشك أن تتهدم . ولم يحاول ارتشى لى أن يصلح أى شىء فى البيت. وشيئا فشيئا أصبحت هناك صنابير للميـــــاه مفتوحة باستمرار ولا يمكن اغلاقها ، وصنابير أخرى مغلقة باستمرار ولا يمكن فتحها.

والحديقة الكبيرة المحيطة بالبيت .. كان يمكن أن تصبح شيئا جميلا لو انه بذل قليلا من العناية بفلاحتها وتنسيقها وتنظيفها .. ولكنه كان فى شغل شاغل عن البيت والمحلج والحديقة .. اذ كان يفكر دائما فى أشياء أخرى .. فى مقدمتها حل مشكلة الزوجية ، والتفاهم مع زوجته المدللة ..

*

وبعد ساعة ، كانت بيبى دول لا تزال نائمة فى فراشها فى الغرفة المجاورة لغرفته ، وقد تناثرت الاغطية عنها ، فكشف بدنها الممتلىء البديع التكوين ، وجه مستدير حلو القسمات ، شعر ذهبى يتهدل على جبينها وكتفيها ، عينان واسعتان تطل البراءة منهما ، ولكنهـــا براءة من نوع خاص ، نهدان ممتلئان فتيان ، قوام ممشوق ..

وكان ضوء النهار يملأ غرفة نومها . ولكنها كانت لا تزال نائمة، لانها تؤثر أن تظل راقدة فى فراشها حتى وقت الظهيرة . فلم يكن لديها عادة ما تعمله قبل موعد الغداء ..

وأفاقت على صوت حاد .. رتيب .. حسبت فى بادىء الامر أنه فأر يثقب قطعة خشبية باسنانه . وتوقف الصوت لحظات .. ثم عاد من جديد ، ففتحت بيبى دول عينيها ، ولكنهـــا ظلت كما هى

دون أن تتحرك • وكانت تولى ظهرها للحائط الذى ينبعث الصوت منـــه •

وأحست بشىء من الخوف من هذا الصوت الشبيه بصوت فأر يقرض الخشب ، ولكنه ليس صوت فأر ••

وأغمضت احدى عينيها ، وهزت رأسها هزة الشخص الذى فهم شيئا كان قد غاب عنه • ثم نهضت من فراشها ، وكان الصوت لا يزال مستمرا • وتسللت فى هدوء من غرفتهـــا • وفتحت باب الغرفة المجاورة لغرفتها ، وأدخلت رأسها من فتحة البـــاب لترى ماذا يحدث ••

وظهر على وجهها العجب والغضب معا فى وقت واحد • فقـــد كان ما رأته هو آرتشى لى راكعا أمام جزء متهدم من الحائط الذى يفصل بين غرفتيهما ، وقد أخذ يوسع الفجوة بمدية صغيرة ، وكان لا يزال يرتدى بيجامته ، ولحيته طويلة •

وكانت على المائدة الصغيرة المجاورة للفراش زجاجـــة شراب نصف ممتلئة •

ظلت لحظات ترقب هذا المشهد فى غيظ ، وآرتشى مستمر فى توسيع الثقب • ثم أخرج المدية من الثقب ومال برأسه نحو الثقب وأطل باحدى عينيه ••

وصاحت بيبى دول :

ـ آرتشى لى •• ماذا تفعل ؟

فارتبك آرتشى لى لحظة • كلص ضبط متلبسا بالسرقة ، وطأطأ رأسه دون أن ينظر اليها فقالت :

ـ أتعرف ماذا يسمى الشخص الذى يفعل ذلك •• حقير •• نذل •• منحط ••!

وهنا استدار آرتشى لى نحوها •• وقال فى هدوء :

ـ تعال •• هنا • اننى أريد أن أتحدث اليك •

ـ أعرف ما تريد قوله ٠٠ يمكنك أن توفر على نفسك مشقة الحديث ٠٠

فقاطعها صائحا :

ـ لقد اتفقنا ٠٠

فقالت :

ـ انك وعدت أبى بأنك ستتركنى وشأنى الى أن أصبح مستعدة للزواج ٠٠

ـ حسن

ـ حسن ٠٠ اننى لست مستعدة ٠٠ بعد ٠

ـ اننى أكاد أجن ٠٠!

ـ فى وسعك أن تنتظر ٠٠

ـ لقد اتفقنا على انه متى بلغت العشرين من عمرك ، فاننا نستطيع أن نعيش كرجل وامرأة ٠ فعلا ٠٠ لا اسما ٠٠

ـ حسن ٠٠ ولكننى لن أبلغ العشرين الا فى اليوم السابع من شهر نوفمبر ٠٠

ـ أى ٠٠ بعد يومين ٠٠ بعد غد ٠

ـ وما هو نصيبك من الاتفاق : وهو انك سترعانى رعاية طيبة ٠٠ أتذكر ذلك ٠٠ ان شركة الاثاث تهدد بأخذ الاثاث من هذا المنزل ٠٠ وفى كل مرة أذكرك بهذا الامر تتركنى وتخرج ٠ كما تفعل الآن ٠٠

ـ اننى لم أخرج ٠٠ اننى أسير نحو النافذة لاستنشق نسمة الهواء النقى ٠

ـ قلت لك ان شركة الاثاث ستأخذ جميع الاثاث من هذا المنزل ٠٠ ومتى حدث هذا ، فكل تفاهم بيننا سيصبح لاغيا ٠٠ بالمرة ٠

كان يصغى اليها وهو يتطلع من النـــافذة ، وصوت آلات محلج القطن تصل الى سمعه من بعيد ، وكأنه دقات قلب • وذكره هـذا الصوت الرتيب بمحلجه المتعطل ، فأغلق النافذة وسار نحو المرآة •• وتطلع الى وجهه فى المرآة ويده تتحسس ذقنه •• وقالت بيبى دول :

ـ انظر الى نفسك جيدا •• انك لست الزوج الذى تحلم به فتاة صغيرة ••

فلم يجب وظل يتطلع الى المرآة •

ودق جرس التليفون في الطابق الارضى •• وبعد كل دقة تنبعث صرخة حادة تنم عن الفزع • فقالت بيبى دول :

ـ ان العمة روز كمفارت تصرخ كلما دق التليفـــون •• انه يزعجهـــا ••

فصاح :

ـ ما الذى يجعل هذه المجنونة تصرخ هكذا ••؟

واستمر رنين التليفون ، وصراخ العمة روز •• فانطلق آرتشى لى خارجا من الغرفة بينما كانت بيبى دول تقول :

ـ انها تقول ان رنين التليفون يخيفها •

واندفع ارتشى لى نحو الدرج وصاح :

ـ لماذا لا تردى عليه أيتها العمة روز ؟

وكانت العمة روز تقف على باب المطبخ ، فسارت فى هدوء نحو التليفون ، ويدها على صدرها •• وقالت :

ـ ان نفسى مقطوع •• فهذا التليفون يرعبنى الى أقصى حد ••

فصرخ ارتشى لى وهو يطل عليها من الدرج :

ـ ردى عليه ••

وفي بطء شديد ، مدت العمة روز يدها الى سماعة التليفون وقالت :

ـ هاللو .. الانسة روز كمفارت ماكوركل تتكلم .. لا .. ربة البيت هي المسز ارتشي لي ميجان ، وهي ابنة أخي الذي انتقل الى رحمة الله ..

وما كاد آرتشي لي يسمعها تقول هذه العبارة حتى راح يعدو هابطا الدرج بسرعة وهو يقول :

ـ انهم لا يريدون معرفة هذا . من الذي يتحدث .. وماذا يريد؟

ولكن العمة مضت ترد على التليفون بطريقتها الخاصة :

ـ انني لا أسمع جيدا .. هل تستطيع أن ترفع صـــوتك من فضلك ؟. ماذا ؟. شركة الاثاثات ..

وجذب آرتشي سماعة التليفون من يدها قائلا :

ـ اعطني هذا التليفون اللعين .. واغلقي الباب :

فالتقطت أنفاسها وسارت نحو الباب ، بينما كان ارتشي يهمس في التليفون :

ـ نعم .. ماذا تريد ؟.. أوه .. اليوم ؟ لماذا لا تعطيني فرصة أخرى .. بضعة أيام .. اسمع انني أواجه صعوبة مالية في هـــذه الايام .. ان المزرعة التعاونية قد بنت محلجا خاصا بهـــا لحلج أقطانها .. فضاع عـــلى جانب كبير من ايراد محلجي .. وستمضي فترة قبل أن أسترد مركزي ..

ولكن محدثه لم يكترث بما كان يقوله .. فكف عن الهمس .. وصاح فجأة ..

ـ اذن خذه .. خذه . تعال واجمع أثاثك .. ولن أتعامل معكم بعد اليوم .. أبدا ..

وأعاد سماعة التليفون الى مكانها ٠٠ ووقف حائرا ٠٠ فقد كان يواجه أزمة عصيبة ٠ وراح يمسح شعر رأسه بيده ٠

وكانت العمة روز تصغى الى الحديث التليفـــونى ، فدنت من ارتشى لى وقد أخذتها الشفقة عليه وسألته :

ـ هل ستفقد أثاثك كله يا عزيزى ؟٠٠

فالتفت اليها ورفع حاجبيه وضيق عينيه وقال هامسا :

ـ هل لك أن تغلقى فمك ٠٠ وتعودى الى المطبخ ، ولا تقولى كلمة مما سمعته لزوجتى ٠٠ ولا تتسكعى هكذا فى البيت ٠٠ والا فاننى والله سأجمع حاجاتك وأقذف بها خارج هذه المقاطعة ٠٠

فوضعت العمة روز يديها على خصرها ، ومدت عنقهـــا الى الامام كالاوزة ٠٠ وقالت فى غضب شديد :

ـ ماذا قلت يا ارتشى لى ؟ ماذا قلت لى ٠٠ الان ؟

فصرخ :

ـ قلت ٠٠ روحى فى داهية ٠

وانطلق الى الدرج صاعدا ٠٠ ومضت العمة تدمدم بكلمات غير مفهومة ودخلت الى المطبخ ٠ وبينما كان ارتشى لى فى طريقه الى غرفة نومه ، ظهرت « بيبى دول » فى غلالة شفافة ـ تبدى مفاتنها حلوة شهية ـ وكانت فى طريقها الى الحمام ٠ فسألته :

ـ ما الذى يخيفها هذه المرة ٠٠؟

ـ وكيف لى أن أعلم ماذا يجعل هذه المرأة العجوز تصرخ هـــذه المرة أو المرة السابقة أو المرة المقبلة ؟٠٠

ـ المرة الاخيرة كانت تصرخ لانك ألقيت عليها شيئا ٠٠

ودخلت الى الحمام ٠ ووقف ارتشى لى أمام الباب وسألها :

ـ ماذا ألقيت على العمة روز ؟



وخطرت له فكرة .. فابتسم ، واندفع فجأة الى داخل الحمام

فأجابته من داخل الحمام :

ـ رميتها بكوب الماء لانها كانت تترنم بالاناشيد الدينيـــة فى المطبـــخ ٠٠

ووصل الى سمعه صوت الماء يتـــدفق من « الدوش » ، وكانت بيبى دول قد بدأت تستحم ٠٠ فمضى قائلا :

ـ كوب من الماء ؟٠٠ انه لم يغرقها على كل حال ٠٠ فقد كنت أحاول أن أجذب اهتمامها ليس الا ٠٠ فهذه المرأة العجوز لا تسمع شيئا ٠٠ الا اذا فعلت شيئا لجذب اهتمامها ٠٠

وخطرت له فكرة ٠٠ فابتسم ، واندفع فجأة الى داخـــل الحمام وهجم على « بيبى دول » وهى تقف عارية تحت الدوش ٠ فصاحت :

ـ ابعد يدك عنى ٠٠ بسرعة ٠ ابعد يدك ٠٠ ابعدها ٠٠

ولم يجد ارتشى لى بدا من تركها بعد أن ابتلت ثيـــابه وشعره ووجهه ٠٠ وخرج من الحمام ، فأغلقت بيبى دول الصنبور ، وأخرجت رأسها من الباب وراءه وصاحت :

ـ سأذهب الى فندق « كوتون كينج » فى المرة التـــالية التى تحاول فيها أن تنقض الاتفاق ٠٠ لقد أنذرتك ٠٠

وأدخلت رأسها ٠٠ وأغلقت باب الحمام بعنف ٠٠

الفصل الثانى

جلس آرتشي لى فى مقعد القيادة فى سيارته العتيقة ، وهى من طراز سنة ١٩٣٧ لونها حائل ، وقد تناثر عليهـــا الوحل من كل ناحية ٠ وعلى زجاج النافذة الامامية ألصقت صورة « بيبى دول » وهى تبتسم فى حيرة ٠

وأطلق آرتشي لى نفير السيارة بعد أن نفد صبره ٠٠ وصاح :

ـ بيبى دول ٠٠ تعالى الآن اذا شئت أن تذهبى الى المدينة معى، اذ ينبغي على أن أكون عند الطبيب بعد عشر دقائق ٠٠

وأجابت بيبى دول داخل البيت ٠

ـ اذا لم تستطع أن تصبر قليلا ٠٠ فاذهب وحدك بدونى ٠٠ فاننى أعرف طرقا عديدة للذهاب الى المدينة بدونك ٠٠

فسكت ٠

وبعد لحظات بدت بيبى دول على باب البيت وهى تترنم بنغم أغنية شعبية ، وتتحرك وهى تتمايل على النغم ، امعانا فى اغاظة زوجها ٠ كانت ترتدى ثوبا أبيض ملتصقا ببدنها ٠٠ وسارت فى بطء حتى وصلت الى قرب السيارة ٠٠ ووقفت ٠

فسألها فى دهشة :

ـ أتذهبين الى المدينة هكذا ٠٠؟

ـ ماذا تعني بهكذا ؟٠

ـ فى هذا الثوب ٠٠ أليس غريبا أن ترتديه أمرأة متواضعة مثلك ؟٠٠ امرأة تصبح كالدجاجة اذا تجرأ زوجها ووضـــع يده عليها ٠٠؟ انك تعلنين عن فتنة بدنك بهذا الثوب ٠٠



وبعد لحظات بدت بيبى دول على باب البيت وهى تترنم بنغم أغنية شعبية ..

وقاطعته قائلة :

ـ ان بدنى قد امتلأ قليلا عن اليوم الذى اشتريت فيه أثواب زفافى ودفعت ثمنها بنقود أبى ·· وعلى الآن أن أختار واحدا من اثنين : اما أن أرتدى ثيابا ملتصقة ببدنى ، واما أن أخرج عارية ·· فماذا تريد أن أختار ··؟

ـ أوه ·· ادخلى الى السيارة ·· من فضلك ·

ـ سأجلس فى المقعد الخلفى فى هذا الصـــندوق المحطم ·· عندما تخرج من المقعد الامامى تأتى الى هنا لتفتح لى الباب كما يفعل أى رجل مهذب ··

ـ ستنتظرين وقتا طويلا اذا كان هذا ما تنتظرين ··

ـ ثق أن عظام أبى ستتحرك فى قبره ··

ـ اننى لم أر أباك ينزل ليفتح باب السيارة مرة واحدة لأمك أو لأية امرأة أخرى ·· والآن ·· ادخلى الى السيارة ·

وحول نظره عنها ، وجلس فى مكانه يتطلع الى الطريق المنبسط أمامه · فلم تجد بدا من أن تذهب الى باب السيارة وتفتحه وتدخل الى السيارة وتصلح ثوبها ثم تجلس فى تعاظم ·· ثم نظرت الى زوجها فى مقعد القيادة ، وكان يتأمل حركاتها فى غيظ ، وأشارت اليه بيدها اشارة معناها « يمكنك الآن أن تسير » ·

وبعد أن اطمأن الى أنها أخـــذت مكانها وأغلق الباب جيدا ، أدار محرك السيارة ، فانتفضت السيارة انتفاضة قوية كمن أفاق مذعورا من سبات عميق ، وكادت « بيبى دول » تسقط من المقعد الى أرض السيارة ·· وصرخت · فالتفت ارتشى لى ، وما كاد يرى الرعب الماثل على وجهها حتى انفجر ضاحكا ·· ومضت السيارة ··

لم يكن الطريق مستويا كل الاستواء · ولكن لم يكن هـــذا وحده يبرر تعثر السيارة فى سيرها · فالسيارة نفسها لم تكن فى حالة جيدة ، كما لم يكن آرتشى لى سائقا ماهرا ··

وبعد دقائق أدرك أن « بيبى دول » غير مستريحة ، وخطر له أن يتحدث اليها فيسرى عنها قليلا وينسيها مشقة الرحلة · فقـــال :

ـ بيبى دول ·· أتعرفين انه لا يوجد فى الدنيا تعذيب يعادل التعذيب الذى تنزله امرأة باردة على رجل لا تسمح له بلمسها ؟·· ليس هناك تعذيب يقارن بهذا التعذيب · ثم ما الذى جنيته أنا لأستحق هذا التعذيب ؟·· يضاف الى هذا كله انى أضعت المحلج والاثاث ··

فقـالت :

ـ الذى فعلته هو أنك ابتلعت لقمة أكبر من فمك ·· فلم تستطع مضغها ··

فمضى فى توسله :

ـ ان الناس تعرف حقيقة الموقف بيننا · فقد صادفت أمس فى الشارع الرئيسى رجلا صاح بى : هـــاى ، ارتشى لى ·· ألم تكبر زوجتك قليلا على المهد الذى تنام فيه ؟·· وقهقه ثلاثة رجال ·· هكذا علنا ·· اذلال علنى ··

ودون أن تنظر اليه ، كانت يدها تعبث بقرطها وهى تقول :

ـ ان الاذلال السرى لا يقل ايلاما عن الاذلال العلنى ··

فرفع يده عن عجلة القيادة وصفق هاتفا :

ـ عظيم ·· عظيم جدا ·· اننا متفقان هنا · انك لن تنامى فى هذا المهد غدا مساء يا بيبى ·· بعد أن نحتفل بعيد ميلادك ··

فقالت وهى لا تزال تعبث بالقرط :

ـ اذا رفعوا الاثاث من المنزل ، فانني طبعا سأنام في المهد لان ثمنه مدفوع ٠٠ سأنام في المهد ٠٠ أو على بيانو العمة روز ٠٠

وابتهج لانها أشارت الى العمة روز فخرج عن الموضوع الذى كان يناقشه وقال :

ـ أحب أن أكلمك عن العمة روز كمفارت ٠٠ انني لست في مركز يسمح لى باطعامها وايوائها بعد الان ٠٠

ـ مهلا ٠٠ مهلا ٠٠ أيها السيد الكبير ٠٠ أعلم جيدا انه متى جاء اليوم الذى لا ترحب فيه ببقاء العمة روز تحت سقف بيتك ٠٠

فقاطعها قبل أن تتم عبارتها :

ـ بيبى ٠٠ حبيبتى ٠٠ ان الامر لا يعدو اننا مضطرون الى تخفيف أعبائنا ٠٠ يجب أن نرفع عن كاهلنا كل حمل غير ضرورى ٠ انها لا تستطيع أن تطهو ولا تستطيع أن ٠٠٠٠

فقاطعته بدورها :

ـ اذا كنت لا تحب الطعام الذى تطبخه العمة روز كمفارت ٠٠ فاحضر لنا خادما ٠٠ انني قطعا لشيء بدين عجوز مثلك ٠

فرفع يده الى أعلى ساخراً من ترفعها ٠٠ فعبست وصاحت به :

ـ كف عن هذه السخرية ٠٠

وأنت أيضا كفى عن وصفى بالشيء البدين العجوز ٠

ـ حسن ٠٠ اذا أصبحت شابا ورفيعا فانني سأكف عن وصفك بأنك شيء عجوز بدين ٠

ولم يجب عليها ، وانما أشار بيده اشارة ذات مغزى الى جانب الطريق حيث كانت توجد لافتة ضخمة كتب عليها بحروف كبيرة « محلج القطن التعاونى » وقال :

ـ هذا هو المحلج الجديد ٠٠ هذا هو ٠٠

فأخذت تتطلع الى البناء الكبير واللافتة الجديدة والزينــات وقالت :

ـ يبدو أنهم سيقيمون احتفالا هنا ٠٠

فقــال :

ـ ولماذا لا يحتفلون ؟٠٠ انهم قد حصلوا الآن على كل القطن الموجود فى البلد ٠٠ بما فى ذلك آخر ذرة مما كنت أحلجه عندى٠٠

فرمقته بنظرة تأنيب وقالت :

ـ لا عجب فى ذلك ٠٠ فلديهم محلج حديث ٠٠ ليس كهذا المخزن العتيق والآلات الخربة التالفة التى لديك ٠٠

فاستشاط غضبا ٠٠ ولم يجب ٠

الفصل الثالث

عندما وصلا الى عيادة الطبيب كانت المناقشة لا تزال مستمرة بينهما دون أن يصل آرتشى لى الى النتيجة التى يريدها ٠٠ وهى أن يتفاهم مع بيبى دول على بدء حياتهما الزوجية بعد يومين ٠

قال :

ـ اننى مثلك أحب العمة روز كمفارت ٠٠

ـ لا ٠٠ انك لا تحب العمة روز ٠

ـ حسن ٠٠ افرضى انها ماتت فجأة لدينا ٠٠ افرضى ان مرضا أقعدها عن الحركة والتسكع فى أرجاء البيت كما تفعل الآن ٠٠ اسخرى ما شئت ٠٠ ولكننى أنذرك بأنه اذا سقطت هـــذه المرأة العجوز ميتة فى بيتى ، فاننى لن أخرج من جيبى قطعة نقود واحدة لتسديد نفقات دفنها ٠ سأطلب احراق جثتها ٠٠ أجل سأحرقها ٠٠ وأضع الرماد فى زجاجة كوكاكولا قديمة وألقيها فى صـــــندوق القمامة ٠٠

ودخلا الى عيادة الطبيب وجلسا فى مقعدين متجاورين ، ولم يكن فى غرفة الانتظار ، سوى شاب كان مستغرقا فى القراءة فى مجلة ٠٠ وما كادا يدخلان حتى رفع عينيه عن المجلة وأخــذ ينظر باعجاب شديد الى بيبى دول ٠٠ التى ابتسمت له ابتسامة رقيقة ٠

ودخل الغرفة مساعد الطبيب ٠ وما أن رأته بيبى دول حتى حسبت انه الطبيب فحيته قائلة :

ـ دكتور جون ؟٠ أرجوك أن تفحص زوجى ٠٠ فاننى أعتقد أن كلبا مجنونا قد عقره ٠٠

فابتسم لها مساعد الطبيب ابتسامة لطيفة وقال موجها كلامه لارتشى لى :

ـ انك تأخرت قليلا يا سيد ميجان عن موعـــدك ٠٠ ولكن الطبيب سيراك الآن ٠٠

ونهض ارتشى ليدخل معه ٠ فقالت بيبى دول :

ـ حسن ٠٠ سأذهب الان الى ٠٠

فقاطعها بسرعة :

ـ لا ٠٠ لا ٠٠ ستبقين هنا وتنتظرين الى أن أخرج ٠

وناولها مجلة من المجلات الموجودة على المائدة ٠٠ قائلا :

ـ اقرأى هذه المجلة ٠٠

وخرج ٠٠ بينما كانت هى والشاب يتبادلان نظرات طويلة ذات معنى ٠٠

❖

أمره الطبيب بأن يخلع سترته وقميصه ٠٠ ووقف آرتشى لى عارى الصدر ، والطبيب يفحصه ويدق باصبعه على صدره وظهره فى حين كان آرتشى لى مشغولا بما يحدث فى غرفة الانتظار بين زوجته والشاب الذى يسترق اليها النظر ٠٠

ووصل الى سمعه صوت ضحكات خفيفة منبعثـــة من غرفة الانتظار ،فزاد اضطرابه وقلقه ، ولاحظ الطبيب هذه الحيرة التى كانت تستبد به فقال له :

ـ انك لست رجلا عجوزا يا إرتشى لى ٠٠ كما انك لست شابا٠

ـ أعرف هذا ٠٠

ـ متى تزوجت ؟٠

ـ منذ سنة تقريبا ٠٠

ـ هل أنت تحت ضغط ؟٠ انك تبدو فى حالة عصبية شديدة٠٠

ـ لا ٠٠ لا ضغط على الاطلاق ٠٠

وكان صوت الضحكات فى غرفة الانتظار قد ارتفع قليلا ، فانطلق ارتشى لى فجأة وفتح الباب ونظر الى غرفة الانتظـــار ٠٠ فرفع الشاب المجلة بين يديه بسرعة وأخذ يقرأ ٠٠ فأغلق آرتشى لى الباب وأخذ يكمل ارتداء ثيابه ٠٠

ولاحظ الطبيب ما فعله آرتشى لى ٠٠ فقال له فى هدوء :

ـ أعتقد أن ما تحتاج اليه هو دواء ملين ٠ ٠

فرمقه آرتشى لى بنظرة غاضبة وصاح فى غيظ :

ـ دواء ملين ٠٠ بماذا يفيدنى دواء ملين ؟

وصفق الباب وراءه ٠٠

*

وفى طريق عودتهما بالسيارة الى البيت ، مرت بهما سيارة نقل كبيرة آتية من الناحية الاخرى ٠٠ وما كادت بيبى دول تلمــح الكلمات المكتوبة عليها حتى عرفت انها سيارة الاثاث التى تحمل أثاث بيتها ٠٠ فقالت لارتشى لى ٠٠ وفى صوتها رنة حزن :

ـ كان هذا هو أثاثنا ٠٠ كله ٠٠

فقـــال :

ـ لا ٠٠ ليس أثاثنا ٠٠

فصاحت :

ـ بل أثاثنا ٠٠ أدر السيارة والحق بهم ٠٠

وأوقف آرتشى لى السيارة أمام صيدلية ٠٠ قائلا :

ـ سأنزل هنا يا بيبى دول ٠٠ لاشترى الدواء ٠٠

والتفتت اليه ٠٠ وكانت تركب الى جواره ٠٠ ولم تقل شيئا ٠ فأدرك أنها توشك أن تنفجر فى موجة عارمة من الغضب ٠ ولذلك فكر فى أن يسترضيها فى الحال ٠٠ فدعاها الى الذهـــاب الى السينما ٠٠ ولكنها أخذت تضربه بكلتا يديها ٠٠ فاقترح عليها أن يذهبا الى مطعم ليأكلا ويشربا قليلا من البيرة المثلجة ٠٠ ولكنهـــا رفضت الاقتراح وأصرت على أن يذهبا الى البيت ٠

ـ قلت ان هذا هو أثاثنـــا ٠ أريد أن أذهب الى البيت ٠٠ البيت ٠٠ الآن ٠٠ اذا لم تذهب بى الى البيت الآن ٠٠ سأدعو أى صاحب سيارة لتوصيلى ٠٠

فأطرق ٠ وقال فى استسلام :

ـ سنذهب الى البيت ٠٠

وأدار السيارة ٠٠ وجلسا صامتين ٠٠

*

وفى البيت كان عمال شركة الاثاث يقومون بنقل الاثاث من البيت الى السيارة ٠٠ وعندما وصلت سيارة ارتشى لى انى البيت قفزت بيبى دول منها وراحت تعدو بين الحمالين وتضربهم بقبضاتها فى غيظ شديد ٠٠

ولكن العمال لم يكترثوا لذلك ، فقد كان هذا التصرف بالنسبة اليهم أمرا مألوفا يوما بعد يوم ٠ فمضوا فى عملهم دون أن يكلفوا أنفسهم مشقة النظر اليها أو الاهتمام بتوسلاتها أو تهديداتهـــا ٠ وبعد أن وجدت بيبى دول محاولاتها لن تجدى ، وان الاثاث سينقل فعلا ٠٠٠ وقفت الى جوار سيارة النقل وهى ترى أثاثها يختفى فى جوفها قطعة بعد قطعة ، فانخرطت فى البكاء ٠٠ وذهبت العمة روز اليها بعد حين وأخذتها بين ذراعيها وسارت بها نحو البيت ٠٠



ولذلك فكر فى أن يسترضيها فى الحال
فدعاها للذهاب الى السينما

أما آرتشى لى فقد كان يمر بأزمة عصبية حقا ٠ فهو يعلم أنه لن يخسر أثاثه فقط ، بل ان بيبى دول ستنفذ تهديدها وتترك له البيت الفارغ ٠ وأخذ يفكر فى طريقة يحل بها هذه المشكلة الخطيرة ٠٠ طريقة يحصل بها على شىء من المال يسدد به الاقساط المتأخرة، ويسترد أثاثه ٠٠ وتصبح بيبى دول بعد يومين اثنين زوجته فعلا٠٠

ووصل الى سمعه صوت محلج القطن من بعيد ، فتطلع نحو مصدر الصوت وهو يتنهد من الغيظ ، وسار على مهل نحو بيتــــه الفارغ ٠ ووجد بيبى دول تقف أمام النـــافذة تبكى ٠٠ فاقترب منها وقال :

ـ بيبى دول ٠٠ حبيبتى :

فقالت له فى هدوء ٠٠

ـ دعنى وحدى هنا ٠ اننى لا أريد أن أجلس فى غرفة واحدة مع رجل يجعلنى أعيش فى بيت بلا أثاث ٠

فقال لها محاولا التخفيف عنها :

ـ يا حبيبتى ، ان الاثاث القديم الذى تبقى لدينا يكفى مؤقتا ٠٠ ولو اننا وزعناه على غرف البيت لوجدنا أن لدينا ٠٠

فقاطعته بعبارتها التقليدية :

ـ ان أبى سيتقلب على جنبيه فى قبره لو علم بهذا الامر ٠٠ سيتقلب فى قبره ٠٠

فقال لها :

ـ بيبى دول ، لو أن والدك تقلب بهذه الكثرة التى تقولين بها هذه العبارة ٠٠ فان ذلك الرجل العجوز سيكون قد حرث أرض المدفن كله ٠٠

وكانت العمة روز فى هذه الاثناء تسير على مهل فى الحديقة ، فارتفع صوتها يغنى نشيدا دينيا فقال ارتشى لى :

ـ انها تجمع بعض الازهار البرية هناك ‥ وكأنه لم يحدث شيء على الاطلاق ‥

ولم تبد بيبى دول أى اهتمام بملاحظته وانما قالت له :

ـ سأنتقل الى فندق كوتون كينج ‥ سأذهب لاقيم هناك ‥

فصاح فى غضب :

ـ لا ‥ لن تذهبى يا بيبى دول .

ومضت تقول متجاهلة صياحه وغضبه :

ـ وسأبحث عن وظيفة ‥ فقد اشترك مدير فندق كوتون كينج فى حمل كفن أبى ‥ وسيجد لى عملا أقوم به عنده ‥

فكف ارتشى لى عن الصياح وسألها :

ـ أى نوع من العمل تعتقدين انه يمكنك القيام به ‥ يا بيبى دول ؟

ففوجئت بالسؤال ‥ وحارت فيما يمكنها أن تفعله ‥ انها لم تتعلم تعليما يؤهلها لاى وظيفة ‥ وقالت :

ـ أستطيع أن أكوى الشعر فى محل للتجميل ، وأن أصبغ الاظافر ، وألمعها فى صالون للحلاقة ‥ على ما أعتقد ‥ وأظن أيضا انه يمكننى أن أعمل كمضيفة وأن ابتسم للزبائن وهم يدخلون المكان ‥

ـ أى مكان ؟ ‥

ـ أى مكان . وأستطيع أيضا أن أعمل كصرافة تحاسب الزبائن .

ـ ولكنك لا تعرفين الحساب ‥ ولا تستطيعين أن تعدى فكة دولار ‥

ـ يمكننى أن أمر على الزبائن بقاعة الطعام والشراب ٠٠ أو أقول أهلا وسهلا للاشخاص القادمين ٠٠

وفوجئت بيبى دول بهذا الفيض من الافكار التى تدفقت عـلى رأسها فى أثناء هذه المناقشـــة ٠٠ فقررت أن تتصل تليفونيا بمدير الفندق فى الحال ٠٠

❊

وقفت بيبى دول أمام التليفون ، وكان منظره غريبا فى بيت بلا أثاث ٠ ووضعت على شفتيها ابتسامة واسعة وأخذت تصلح من شعرها وثيابها لكى تجعل نفســها جذابة ، وكأنها ستقابل الرجل شخصيا ٠٠ مع انها ستتصل به تليفونيا فقط ٠٠

وبأعذب صوت يمكنها أن تنطق به ، وفى أرق عبارة يمكنها أن تصوغها راحت تتحدث فى التليفون دون أن تتيح للعاملة التى ردت عليها فرصة لقول أى شىء :

ـ فندق كوتون كينج ؟٠٠ أنا المسز ميجان ٠٠ أريد أن أحجز غرفة ابتداء من صباح غد ، وأحب أن تســجل الغرفة على اسمى الاول قبل أن أتزوج ٠٠ وهو بيبى دول كارســـون ٠ وكان أبى ت٠ س٠ كارسون ، الذى مات فى الصيف الماضى عندما تزوجت ، صديقا حميما لمدير فندق كوتون كينج ٠٠ لا أدرى ما اســـمه ٠٠ ولكنك تعرفين اسمه طبعا ٠

ولم يطق ارتشى لى أن يستمع الى أكثر من هذا ٠٠ فلم يعـــد الامر مزحا ٠٠ فخرج الى الحديقة ، وكاد أن يصطدم فى طريقـه بالعمة روز ، وكانت لا تزال تجمع الازهار البرية وتغنى الاناشيد الدينية ، وذهب الى سيارته ٠٠ وجلس فى مقعد القيادة ومد يده تحت المقعد وأخرج زجاجة كبيرة راح يعب منها عبا ٠٠ ثم ألقاها بعيدا ٠٠ وأدار محرك السيارة ٠

الفصل الرابع

ذهب آرتشى لى الى بار « برايت سبوت » ، وهو يعج عادة بالزبائن . ولكنه فى هذه الليلة كان خاليا .. فقد كان فى ركن من الاركان رجلان يشربان .. وخلف البار وقف الساقى فى ثوبه الابيض يلمع الكؤوس .. فسار آرتشى لى اليه وحياه ، ثم قال هامسا :

ـ اننى لم أذهب اليوم الى البنك يا بيلى ، ولذلك فانه ليس لدى نقود صغيرة ..

ولم يجب الساقى بشىء ، فهو قد سمع هذه العبارة كثيرا . ومد يده الى رف سفلى وتناول زجاجة ليست عليها بطاقة ، وصب منها كأسا قدمه لارتشى لى .. الذى شكره وقال :

ـ أين الزبائن الليلة ..؟

فقال الساقى :

ـ ذهبوا الى المحلج التعاونى .. حيث يوزع الليلة هناك شراب بالمجان .. لماذا لا تذهب ؟

ـ وما هى المناسبة ؟

ـ الذكرى السنوية الاولى .. لماذا لا تذهب وتشترك فى الاحتفال ؟

ـ اننى لن أذهب الى مأتمى ..

ـ من الافضل أن أغلق البار وأذهب الى منزلى .. فكل الذين يأتون الليلة على شاكلتك .

ومضى الساقى يلمع كؤوسه .. ويدخل البار رجل مهلهل الثياب طويل اللحية ، وما أن يرى ارتشى حتى يتجه اليه .. فيرحب به ارتشى لى :



ومد يده الى رف سفلى وتناول زجاجة وصب منها
كأسا قدمه لارتشى لى

ـ هاى ماك ·· كيف حالك ؟

ـ ان أحوالى تسير ·· كسيارتك ·

ـ لماذا لا تذهب الى المحلج كالآخرين ؟

ـ وماذا أفعل فى ذلك المكان ؟·· انه كان سبب خرابى ·· أتلف حياتى ··

ـ ان الشراب يجرى الليلة أنهارا ·· هناك ·· وسيطلقون الصواريخ والالعاب النارية ·· وكل شىء ··

ـ ألعاب نارية ؟·· اننى أريد أن أرى ذلك المكان كله شعلة من نار ·· أتمنى أن أراه رمادا ··

ثم مال الرجل على الساقى وهمس شيئا ·· فمد الساقى يده وأخرج الزجاجة التى ليست عليها بطاقة ·· وأفرغ له كأسا ··

*

وفى فناء المحلج كانت قد أقيمت منصة كبيرة للاحتفال زينت بالاعلام الملونة ·· وكانت فرقة موسيقية تعزف ألحانا شعبية ·· وكان هناك جمهور كبير من الحاضرين منهم بعض الموظفين ، ولم يذهب بعض الموظفين لان كثيرين كانوا غير مرتاحين الى سير أمور الجمعية التعاونية ··

ولكن العمدة كان هناك ·· ووقف ليلقى كلمة فى هذه المناسبة ·· فبدأ بتحية الرجل المسئول عن نجاح الجمعية ·· وهو شاب ايطالى الاصل اسمه « سيلفا فاكارو » ، وقد أقام هذه الحفلة للاحتفال بمرور سنة على توليه الاشراف على المزرعة التعاونية ونجاح فاكارو فى أن يجعل المزرعة تنتج أكبر محصول من القطن انتجته فى تاريخها ··

وكان فاكارو يقف فى الحفل مبتهجا بنجاحه ، يستمع الى عبارات الاعجاب وهو يحاول أن يدارى زهوه وارتياحه الى تكليل جهوده بالتوفيق • وراح يبتسم لهذا وذاك ، ويلقى نظرات سريعة فاحصة على الحاضرين • وكان يحتسى من قدح البيرة فى يده •• فى حين كان يشرب الآخرون الويسكى والبراندى والشمبانيا •• ولكنه كان حريصا على أن يحتفظ بوعيه وأن يتنبه الى ما يدور من حوله • فقد كان يدرك جيدا أن له خصــــوما عديدين ، وانهم لن يضيعوا فرصة تسنح للايقاع به والقضاء عليه •

كان فاكارو شابا ذكيا وسيما ، وكان يهتم بعمله اهتمـــــاما عظيما •• فلم يكن للخمر أو النساء مكان فى حياته •• كان العمل فى المزرعة يأخذ المكان الاول والثانى والثالث فى ذهنه ••

ومضى العمدة يثنى على شـــــخصية فاكارو ، فى حين كان الحاضرون يملأون كؤوسهم المرة تلو المرة وكأنهم فى سباق عجيب للافراط فى الشراب •

وتسلل الى مكان الاحتفال أشخاص لم توجه اليهم الدعوة •• وكان منهم آرتشى لى الذى استمع فى آخر الامر الى نصيحة الساقى فأتى مع صاحبه مارك •

وما كاد فاكارو يلمح وجهى خصميه حتى تغير لونه ، وأومأ برأسه الى « روك » ، أحد عماله ، فأتى روك فورا اليه • وأشار له فاكارو على الرجلين قائلا :

ــ هناك حفنة من الرجال يبدو لى انهم غير سعداء ••

فقال روك :

ــ ليس هناك مبرر لذلك • فقد قضيت أنت على أعمالهم عندما بنيت محلجك • •وبدأت تحلج أقطانك به ••

وقال له سيلفا :

ـ راقبهم ٠٠ لا تغفل عنهم ٠٠ وخاصة اذا راحوا يتجولون فى المكان ٠٠

وفى هذه الاثناء كان العمدة مستمرا فى خطابه :

ـ ومن الطبيعى أن الشىء الذى يعود بالفائدة على البعض ، يعود بالخسارة على الاخرين ٠ ونحن جميعا نعلم أن بعض الاشخاص فى هذه المقاطعة قد عانوا خسائر مالية ، وذلك يرجع الى حد ما الى نجاح المزرعة التعاونية ٠٠ ولكننا اذا نظرنا الى المجتمع فى مجموعه لوجدنا أنه قد جنى فوائد عظيمة جدا ٠٠

وعندما بلغ العمدة هذه العبارة ٠٠ انطلق صوت من الجمع قائلا :

« عندما ترشح نفسك لهذا المنصب مرة أخرى ، فرشح نفسك على مبادىء الحزب الجمهورى لكى تحصل على أصوات الزنوج ٠٠ أيها البدين » ٠

فمضى العمدة قائلا :

ـ انظر حولك الى البناء الجديد الذى يشيد الان ٠٠ تر البنائين والنجارين والحدادين والنقاشين والسباكين والكهربائيين ٠

وفجأة ألقى أحد الحاضرين كأسا ممتلئة بالشراب على العمدة ٠٠ فهب روك وفاكارو على الفور ٠ وصاح روك :

ـ من فعل هذا ؟

واتجه فاكارو الى المنصة ووقف أمامها وقال :

ـ اذا كان لدى أى واحد شىء آخر ليقذفه ٠٠ فليصوبه الى هذا الهدف ٠٠ هذا هو الهدف ٠٠ الهـــدف الواقف أمامكم ٠٠ لاجنبى ٠٠ الاجنبى اللعين ٠٠٠

وبينما أخذ العمدة يجفف وجهه ، راح فاكارو يتطلع الى كل ناحية ، ويفحص وجوه الحاضرين بعناية . وفجأة .. وسط السكون الذى أخذ يسود المكان .. بدأ صوت شيء يحترق فى الظهور .. ثم ارتفعت ألسنة اللهب فأضاءت الفناء .. وانبعثت الصيحات من كل مكان . والنار تندلع بسرعة ويزداد الضوء المنعكس على الفناء وعلى الوجوه .. ويتعالى الصراخ ..

وأخذ فاكارو يعدو صوب النار التى كانت تلتهم المحلج .. وراح فاكارو يصرخ فى عماله الزنوج ويأمرهم بابعاد المركبـــات المحملة بالقطن عن مكان الحريق ..

ووصلت سيارة المطافىء .. ولكنها كانت أصـــغر من أن تصلح لانقاذ الموقف . فهى سيارة صغيرة وقديمة . وجذب رجال المطافىء خرطوم المياه .. ولكن لم تكن هنـــاك مياه تكفى لاخماد اللهب . كما أن الخرطوم نفســه كان قصيرا .. بل ان رجال المطافىء أنفسهم لم يبدوا كفاءة واهتماما .. حتى أن بعضهم كان يؤدى عمله بتراخ وبلا اكتراث .. ولعل وجوه بعضهم كانت تنم عن الغبطة باندلاع النار .. فكان يبدو انهم يهتمون بمشـــاهدة الحريق أكثر من اهتمامهم باخماده ..

ويعدو فاكارو بينهم صارخا ، مصدرا التعليمات ، مشيرا الى مواضع الخطر . ولكن استجابتهم له لم تكن حماسية . فأخذ شيئا من محصول القطن بين يديه وألقاه على الرجل الذى كان يمسك خرطوم المياه فى يده ، ويصوبه الى مكان النار ، فاغتاظ الرجـل وألقى طرف الخرطوم على فاكارو .. فتناولها فاكارو وسار مباشرة نحو النار .. وسط اللهب ..

وأخذ العمال يحاولون وقف فاكارو عن اقتحـام النار ، فكان يدفعهم ويسلط الماء عليهم .. ويمضى فى طريقه حتى اختفى عن الانظار .. وأخذ صوته ينطلق صـــارخا بالايطالية .. وانهار جدار ..

وبدأ الخرطـــوم يتلوى ٠٠ وكأنه أفلت من يده ٠٠ فســـاد الذعر الحاضرين ٠

وخـــرج فاكارو ٠٠ وفى يده صفيحة صغيرة من صـــفائح الكيروسين ٠٠ وكان يضرب بيده الاخرى سرواله الملتهب ٠٠ وبدا أنه يوشك على الانهيار ٠٠ فأسرع نحوه بعض عمـاله ونقلوه الى منطقة بعيدة ٠٠ ولكنه ظل قابضا على « الصفيحة » ٠٠

ووضعوه على الارض ، وجلسوا حوله ، وقد كساه السواد ٠٠ وفتح عينيه وأخذ يجيلهما ٠٠ ثم أغمض عينيه وهو لا يزال قابضا على « الصفيحة » ٠٠

وانهار جدار آخر ٠٠

الفصل الخامس

أوقف ارتشى لى سيارته فى حديقة بيته · ونزل فى هدوء كأنه لص ·· وسار نحو مدخل البيت · فوجد بيبى دول جالسة على الارجوحة ·· وكانت الى جوارها عدة حقائب معدة للرحيل ، وكانت العمة روز جالسة على مقعد قريب ·· وقد راحت فى سبات عميق ··

واقترب ارتشى لى من بيبى دول وسالها :

ـ ماذا تفعلين هنا فى الساعة الواحدة صباحا ؟

فأدارت رأسها الى الناحية الاخرى ، وقالت :

ـ اننى لا أكلمك ··

فأعاد سؤاله :

ـ ماذا تفعلين هنا ؟

فلم تجد بدا من أن تقول له :

ـ لاننى أولا لا أملك نقودا لأدفع أجرة غرفة فى الفندق ، فأنت لا تعطينى مالا على الاطلاق ، وثانيا لانه حتى اذا كانت لدى نقود فاننى لن أستطيع الذهاب الى الفندق لانك أخذت السيارة وتركتنى وحيدة ·· حتى الحريق ·· لم أره ، وكنت أريد أن أراه كما ذهب الجميع لرؤيته ··

وفوجىء بأنها تعرف أمر الحريق ، ولكنه سألها وحاول أن تظهر عليه الدهشة :

ـ أى حريق هذا الذى تتحدثين عنه ؟

فنظرت اليه بدهشة وقالت بخبث :

ـ أى حريق هذا الذى أتحدث عنه ؟

فمضى يتظاهر بالدهشة وقال :

ـ اننى لا أعرف شيئا عن أى حريق ٠٠

فهزت رأسها مستنكرة هذا التجاهل الذى يتكلفه تكلفا :

ـ لا بد أنك مجنون أو تظن اننى مجنونة ٠٠ أتريد أن تقول لى انك لا تعرف أن محلج القطن فى المزرعة التعاونية احترق بعد أن غادرت البيت بقليل ؟٠٠

وتلفت ارتشى لى حوله فى ذعر ٠٠ واقترب منها واضعا اصبعه على فمه ، وأمسك بذراعها وهو يهمس :

ـ صه ٠ اننى لم أغادر البيت قط ٠

فتأوهت ، وقالت وهى تجذب ذراعها منه

ـ انك بالتأكيد غادرت البيت ٠٠

وظل ارتشى لى قابضا على ذراعها ، ورفع صوته قليلا :

ـ انتبهى الى جيدا ٠ استمعى الى ما سأقوله لك ٠ اننى لم أغادر هذا البيت أبدا ٠٠

ـ انك بالتأكيد غادرته وتركتنى هنا بدون قطعة فحم واحدة فى المدفأة ٠٠ دع ذراعى ٠٠

ـ استمعى جيدا الى ما أقوله لك ٠ لقد ذهبت الى فراشى ومعى الزجاجة بعد العشاء ٠٠

ـ أى فراش ٠٠؟ دع ذراعى ٠٠ آه ٠٠

ـ وغرقت فى سبات عميق ٠٠ هل وعيت هذا فى رأسك ؟ هل تذكرين ما قلته لك ؟

ـ دع ذراعى ٠٠ انك تؤلمنى ٠٠ آه ٠٠

ـ ماذا فعلت بعد العشاء ؟

ـ أنت تعرف ما فعلت ٠ لقد قفزت فى السيارة واختفيت بعد العشا ، ولم تعد الا ٠٠ آه ٠٠ آه ٠٠ آه ٠٠ دع ذراعى ٠٠

ـ أنني أحاول ايقاظك ، انك نائمة ٠٠ انك تحلمين ٠٠ ماذا فعلت بعد العشاء ؟

ـ ذهبت الى فراشك ٠ دعني ٠ ذهبت الى فراشك ٠٠ دعني٠٠ دعني ٠٠

ـ هذا حسن ٠ هل أنت متأكدة من أنك ستذكرين ذلك ؟ لقد ذهبت الى فراشي بعد العشاء ؟ ولم أستيقظ الا عندما سمعت صفارة الحريق ٠٠ وكنت في حالة سكر شديد لا تسمح لي بالاستيقاظ وركوب السيارة ٠ والآن ٠٠ ادخلي ٠٠ واذهبي الى فراشك ٠٠

ـ أذهب الى أي فراش ؟٠٠ لم يعد لي فراش أذهب اليه ٠٠

ـ سيكون لك في الغد ٠٠ سيعود هذا الاثاث كله غدا ٠٠

وكانت هـــذه مفاجأة دهشت لها بيبي دول ، وأخذت تفكر فيها لحظات ٠٠ وانتهز ارتشي لي هذه الفرصة فربت على كتفها ، وقال بأسى :

ـ هل آلمت ذراع حبيبتي الصغيرة ٠٠؟

فقالت بجفاء :

ـ نعم ٠٠

فأمسك بذراعها وكأنه يتحسس اناء ثمينا يخشى أن يتهشم بين أنامله :

ـ أين يؤلمك ٠٠ يا حبيبتي الصغيرة ؟

فقالت بدلال :

ـ هنـــا ٠٠

فانحنى باحترام مبالغ فيه ورفع الذراع اليه وقبل الموضـــع الذي أشارت اليه ٠٠ وسألها :

ـ والآن ٠٠ يا عزيزتي ٠٠ بيبي دول ٠٠ أتشعرين بتحسن ؟

فابتسمت ٠٠ واستمرت في دلالها :

ـ لا ٠٠

فراح يقبل ذراعها مرة أخرى · وظل يقبل ذراعها صاعداً الى كتفها ·· وهو يهمس :

ـ حبيبتى ·· بيبى دول ·· حبيبتى الصغيرة ··

وتركته يغمر ذراعها وكتفها وعنقهـــا بالقبل ·· وأغمضت عينيها ·· فسألها :

ـ هل آلمتك كثيرا ··؟

فلم تفتح عينيها ، وأجابته بهمهمة :

ـ م ·· مم ··

ـ قبلة أخرى ؟··

ـ مم ·· م م

ـ أنائمة أنت يا حبيبتى ؟

ـ مم ·· مم ··

ـ هل استمر فى تقبيلك ؟··

ـ مم ·· مم ··

ـ أفسحى لى مكانا الى جوارك ··

ـ لا ·· الدنيا حر ··

ـ افسحى لى مكانا صغيرا ·· بجانبك ·

ـ مم ·· مم ··

ـ حبيبة من أنت ؟ يا حلوة ··

ـ مم ·· م ··· م ··

وتأخذ قبلاته تشتد حرارة وعنفا ·· فتجذب ذراعها منه ·· ولكنه قبض على ذراعها بقوة وأخذ يقبل راحتها ورسـغها بجنون ووحشية ·· فصرخت صرخة خافتة :

ـ انك تؤلمنى ·· دع ذراعى ··

ولكنه لم يترك ذراعها ·· بل مضى فى مداعبته الوحشية ··

ـ ماذا أفعل لك اذا كنت أنت قطعة كعك كبيرة ؟



وهنا هجم ارتنشى لى عليها وقبض
على رسغها مرة اخرى

فضـــحكت ‥ وتذكرت أيام مغازلتهما ‥ وتركتـــه يلعق ذراعها قائلة :

ــ مجنون ‥ أوه ‥ مجنون ‥ ارتشى ‥

ــ مم ‥ ماذا يا حبيبتى ؟‥

ــ انك تدغدغنى ‥

ــ عندى سؤال صغير ‥ أتجيبين عليه ؟

ــ ما هو ‥

ــ أين كنت بعد العشاء ؟‥

ــ ذهبت بالسيارة ‥

وهنا هجم ارتشى لى عليها وقبض على رســـغها مرة أخرى ، فصرخت ‥ وانتهت المغازلة ‥ وصاح :

ــ أين كنت بعد العشاء ؟‥

ــ فى الطابق العلوى ‥

ــ وماذا كنت أفعل ‥؟

ــ كانت معك زجاجة ‥ آرتشى .. دعنى .. آه ..

ــ وماذا أيضا ؟

ــ كنت نائما ‥ دعنى ‥

فتركها ‥ وقال :

ــ الآن أنت تعرفين أين كنت ، وماذا كنت أفعل منذ العشاء ‥ لو سألك أحد ‥ يمكنك الآن أن تذهبى ‥

وحمل حقائبها ودخل المنزل ، فتبعته بيبى دول والعمة روز‥ وبعد لحظات عاد آرتشى لى وحده وأخذ يتلفت حـــوله ‥ وأصغى قليلا ‥ ثم قال لنفسه :

« ليلة هادئة جميلة ‥ هادئة ‥ جميلة حقا ‥ »

الفصل السادس

وفى صباح اليوم التالى كانت سيارة سيلفا فاكارو تتقدم قافلة من السيارات تحمل محصول القطن فى طريقها الى محلج آرتشى لى ٠٠

وكان روك يجلس الى جوار سيلفا ، وقد استبدت به الحيرة ، كيف يقبل سيلفا أن يذهب ليحلج قطنه عند الرجل الذى أحرق محلجه ٠٠ ولكن سيلفا كان صامتا ٠٠ كان يفكر فى صمت ٠٠ وهو يقود سيارته ٠٠ وسأله روك :

ـ لعلك على صواب ٠٠ ولكن الشىء الذى يحيرنى حقا هو : لماذا تريد أن تأخذ قطنك الى الرجل الذى أحـــرق محلجك دون ســـواه ٠٠؟

ـ لعلك لا تعرف المثل المسيحى الذى يقول : « أدر خـــدك الثانى لمن صفعك على خدك الاول ٠٠ »

ـ وعندما يصفعك على خديك ٠٠ ماذا تدير له بعد ذلك ٠٠؟

ـ تظل تدير له خدك ، وتديره دائما ٠٠

وأوقف سيلفا سيارته عندما اقترب الموكب من بيت ارتشى لى ٠٠

وكان ارتشى لى ينتظر هذه اللحظة طول الليـــل ٠٠ وما كاد يلمح القافلة حتى شعر بفرحة طاغية ، وأخذ يرقص فى وســـط حجرته ٠ ولم يستطع أن يكتم شعوره أكثر من ذلك ، فهـــرول الى غرفة بيبى دول ٠ وكانت بيبى دول لا تزال نائمة فى المهد ـ وهو الفراش الذى كانت تنام فيه وهى طفلة صغيرة ، وظلت تنام فيه حتى تزوجت فانتقل معها الى بيت الزوجية ، وعادت تستعمله بعد أن خلا البيت من الاثاث ٠

وأخذ ارتشى لى يهزها ·· محاولا ايقاظها :

ـ بيبى دول ·· بيبى دول استيقظى ·· استيقظى ··

وتفتح بيبى دول عينيها ·· ولا يزال النوم مستوليا عليها ·· ويسمع ارتشى لى فى هذه الاثنـــاء صوت نفير سيارة سيلفا ·· وتأتى العمـــة روز مبهورة الانفاس لتزف البشرى لارتشى لى ، فيقاطعها :

ـ أيقظيها ·· وساعديها على ارتداء ثيابها لكى تبدو فى مظهر محترم ·· ثم احضريها الى الطابق الارضى ·· سيعود الاثاث اليوم·

وانطلق بسرعة الى الحديقة ·· وبذل مجهودا كبيرا لكى يكتم غبطته وهو يتقدم من سيارة سيلفا ·· وبدأه بالكلام :

ـ لا تقل شيئا ·· فقد أخبرنى طائر صغير بأنك ستحضر تلك المركبات السبع والعشرين محملة بالقطن الى باب بيتى ·· وأريد أن تعرف انك انسان محظوظ جدا ··

فسأله روك :

ـ ماذا تعنى ؟··

فقال ارتشى لى :

ـ أعنى اننى فى مركز يسمح لى بأن أرجىء الطلبات الاخرى·· وأقدم طلبك عليها جميعا فتكون لك الاسبقية · تعال ·· أخرج من تلك السيارة لتشرب قدحا من القهوة ·

ولكن سيلفا سأله ببرود :

ـ ما هو سعرك ؟··

ولم يرق لارتشى لى أن يتجاهل سيلفا دعوته فلا يقبلهـــا ولا يرفضها · وكأنه لم يسمعها ·· ولكن ارتشى لى كان مســتعدا لان يتلقى أية اهانة ، فنسى ما حدث ، وقال ردا على سؤال سيلفا :

ـ انك تذكر السعر ·· انه لم يتغير ··

ولم يجب سيلفا ، وظل يصوب الى ارتشى لى نظرأته الفاحصة وبعد لحظات سأله :

ـ وكيف حال الآلات ؟ ألم تغيرها بعد ؟٠٠

فقال ارتشى :

ـ فى أحسن حال ٠ انها دائما كذلك ٠ كان ينبغى أن تذكر ذلك ٠

فتذكر سيلفا أنها لم تكن فى أحسن حال :

ـ اننى أتذكر انها كانت محتاجة ألى قطع غيار جديدة ٠ فهل حصلت عليها ؟

فامتعض أرتشى لى ٠٠ وقال :

ـ انك لا تستطيع أن تجد فى السوق ما يماثل القطع القديمة تعال ٠٠ واشرب قدحا من القهوة ٠٠ اننا مستعدون للقائك ٠٠

ولفتت العبارة الاخيرة نظر سيلفا ٠٠ فقال :

ـ أعتقد أنكم عندما رأيتم محلجى يحترق فى الليلة الماضية ، حسبتم انه سيأتى اليكم عمل طيب فى الصباح ٠٠

وهبطت كلمة « حريق » على رأس ارتشى كالمطـــرقة ، ولكنه لم يشأ أن تمر الفرصة دون أن يحسن استغلالها لمصلحته ، فقال :

ـ أتريد أن تعرف شيئا ٠٠؟

فابتسم سيلفا ، وقال :

ـ انه يسرنى دائما أن أعرف شيئا عندما يكون هنـــاك شىء يستحق المعرفة ٠

وضحك روك طويلا ٠٠ ولعق ارتشى شفتيه ، وأخذ دون وعى بمســـح احدى يديه بالاخرى كطفل ضبط متلبسا بارتكاب شىء يعرف أنه سيعاقب عليه ٠٠ وقال :

ـ اننى لم أر قط حريقك فى الليلة الماضية ٠٠

وأخذ ينقل بصره بين سيلفا وروك ٠٠ فلم ينطق أحدهمـــا بشىء ٠٠ وكانا ينتظران اعترافا كاملا ٠٠ وشـــعر آرتشى لى بأنه اندفع ، وانه سار شوطا أطول مما كان ينبغى عليه أن يفعل ، وحاول أن يغير الموضوع بسرعة فقال :

ـ هيا ٠٠ تعال الى بيتى لكى نشرب قدحا من القهوة ٠

ونزل سيلفا من السيارة ، وتبعه روك صامتين ٠٠ وتنبه ارتشى الى أنه لم يدع روك فذهب نحوه وأخذ يتحدث اليه :

ـ أنت أيضا ٠٠ تعال ، اذا شئت ، لا ، يا سيدى ، انى لم أر حريقكم فى الليلة الماضية فقد ذهبنا الى الفراش بعد العشاء مباشرة، ولم نعلم الا عند الفطور فى هذا الصباح أن محلجكم احترق ٠

وسار الثلاثة معا نحو مدخل البيت ٠٠ وأخذ ارتشى ينادى على زوجته بصوت كالرعد ٠٠ وبدت بيبى دول على باب البيت ٠٠ وأغمضت عينيها عندما واجهت النور فجأة ٠٠ وصاحت :

ـ هاللو ٠٠ ماذا حدث يا آرتشى لى ٠٠

وابتسمت ابتسامة وديعة لسيلفا وروك ٠٠ وتقدمت نحوهما قليلا ٠٠ وفوجىء سيلفا بخروج هذه الفاتنة الصغيرة من هذا الوكر وراحت عيناه تفحصان بيبى دول باعجاب وشغف ٠

وسأله ارتشى لى :

ـ ما هو اسمك الاول يا فاكارو ؟

ـ سيلفا ٠

ـ كيف تكتبها ؟٠

ـ سين ٠٠ ياء ٠٠ لام ٠٠ فاء ٠٠ ألف ٠

فنظرت اليه بيبى دول وسألته :

ـ هذا الاسم يبدو أجنبيا ٠

فقال سيلفا برقة :

ـ انه فعلا أجنبى يا مسز ميجان ٠٠ اننى معروف باسم « الاجنبى الملعون » الذى يدير المزرعة التعاونية ٠٠

وضحك ارتشى لى ٠٠ وضرب سيلفا على ظهره ضربة شديدة وتراجع سيلفا الى الوراء لانه لم يرتح الى هذا المزاح ٠٠ ولكن ارتشى لى لم يعبأ بهذا التراجع ٠٠ ومضى فى مزاحه :

ـ لا تشتم نفسك ٠٠ دع عنك هذه المهمة للاخرين ٠٠ انك قطعا رجل سعيد الحظ لانى أستطيع أن أقبل عملا بهذه الضخامة الآن ٠٠ فان هذا معناه الغاء عمليات أخرى ٠٠ ولكنك أخلص أصدقائى ٠٠ وأنا أؤمن بسياسة حسن الجوار يا فاكارو ٠ خدمة بخدمة ٠٠ هذا هو المبدأ الذى نعيش عليه هنا ٠٠ اسمعى يا بيبى دول ، اطلبى من العمة روز كمفارت أن تعد قدحا من القهوة للسيد فاكارو ٠

فقالت له :

ـ أطلب منها أنت ٠٠ ما تشاء ٠٠

فاستمر ارتشى لى وكأنها لم تقل شيئا :

ـ وأريد شيئا يا حبيبتى أن تكونى لطيفة مع هذا السيد ٠٠ ها ها ها ٠٠ انظر ان وجهها يحمر خجلا ٠٠ ها ها هذه هى طفلتى ٠ انها فتاتى الصغيرة ٠٠ كل أوقية فيها ملكى أنا ٠ كلها ملكى أنا ٠

وشعرت بيبى دول بخجل شديد لان زوجها كان يتحدث عنها بهذه الطريقة أمام شخص لا تعرفه ٠٠ وتركها ارتشى لى بعد أن ربت على كتفها ، ومضى يصرخ مناديا العمة روز ٠٠ وتثاءبت بيبى دول ٠٠ فابتسم سيلفا ٠٠ وابتسمت قائلة :

ـ معذرة عن هذا التثاؤب ·· فاننا ذهبنا الى الفراش متأخرين فى الليلة الماضية ··

وتهلل وجه سيلفا فرحا لهذه الهفوة التى وقعت فيها بيبى دول ·· ونظر الى روك فوجد أنه أيضا قد لاحظها ·· وقالت بيبى دول دون أن تلاحظ شيئا مما حدث :

ـ اذن فأنت ·· أجنبى ملعون ·

فقال سيلفا ·· فى سخرية مهذبة :

ـ اننى صقلى يا مسز ميجان ·· شعب عريق قديم ··

ولم تكن بيبى دول قد سمعت اسم صقلية من قبل ·· فحاولت أن تنطق الاسم ·· وأخطأت النطق فصححه لها سيلفا ··

وأقبل ارتشى لى والغبطة تملأ جوانحه ، والفرحة تغمره من رأسه الى قدميه ·· انه لا يكاد يستطيع أن يقف لحظة واحدة ·· فان حلمه قد تحقق بحذافيره ·· أقبل متهللا وقال وهو يربت على كتف بيبى دول بعنف وغلظة بلا وعى :

ـ يا حبيبتى ·· عند الظهر خذى السيد فاكارو الى فنـــدق كوتون كينج فى المدينة وقدمى له على الغداء دجاجـــة ·· واكتبى الحساب على اسمى ·· عندما يطرق الحظ السيىء بابك ، تعرف أصدقاءك الحقيقيين يا سيد فاكارو ·· اننى سأثبت لك هذا ·· هيا بنا الآن ·· الى العمل ·· بيبى ·· اعطينى قبلة ·

ودهشت بيبى دول لتمادى زوجها فى هذا المزاح فسألته :

ـ ماذا بك ؟·· هل سكرت قبل الفطور ؟·

واعتبرها ارتشى لى نكتة لطيفة ، فأخذ يقهقه ، وهو يتطلع الى صاحبيه وكأنه يدعوهما الى مشاركته الضحك على هذه النكتة اللطيفة ولكن بيبى دول لم تجد فيما قالته شيئا يثير الضحك فسألته :

ـ هل قال أحد شيئا مضحكا ؟·

فكف ارتشى لى عن الضحك وطلب اليها أن تقدم القهوة لسيلفا لانه يريد أن يبدأ العمل فى حلج القطن ·· وعاد يتحدث مرة أخرى عن سياسة حسن الجوار التى يعتنقها ·· ويشرح مبدأ خـدمة بخدمة ·· الا أن سيلفا لم يبد اهتماما بالمرة بما كان يقوله ارتشى لى ·· وانما كان اهتمامه كله ينصب على بيبى دول ··

وذهب ارتشى لى بعد أن أوصى بيبى دول بأن تعنى براحـة فاكارو ·· وتساءلت بيبى دول :

ـ انك لا تستطيع أن تجعل انسانا يشعر بالراحة فى هـذا المنزل ·· فانك تكون سعيد الحظ ان استطعت أن تجد مقعـدا تجلس عليه ·

ولكنه لم يسمع الشطر الاخير من عبارتها ·· فقد كان يصيح طالبا من سائقى المركبات أن يتقدموا بهـا نحو المحلج · ونظرت بيبى دول الى سيلفا ، فوجدت انه يكاد يلتهمها بعينيه ، فأطرقت وبعد لحظات سألته :

ـ أتريد قدحا من القهوة ؟··

فأجاب وهو لا يزال يصوب اليها نظرات فاحصة :
ـ لا ·· شكرا ·· انما أريد قليلا من الماء البارد ·· يا سيدتى··

فقالت :

ـ ان المياه فى المطبخ تأتى دافئة ·· ولكن اذا كنت قادرا على ادارة الطلمبة العتيقة فى الحديقة ، فانك تستطيع أن تحصل على ماء بارد حقا ··

فتقدم سيلفا الى المكان الذى أشارت اليه ، وتبعـه روك ·· وكانت العمة روز تطل عليهما من نافذة المطبخ وهى تغنى :

وراع سيلفا ما وجد عليه المكان من قذارة ·· وأخذ يعقب على ترك القمامة تتراكم يوما بعد يوم فى الحديقة ناعتا أصحاب البيت

بالجهل والاهمال والقذارة • ولكن روك لم يلتفت الى القمامة وانما أشار الى أن « بيبى دول » الفاتنة الصغيرة كانت جميلة جدا ، وأن رائحتها زكية •

وكانت الطلمبة فى حالة سيئة من الاهمال الطويل •• وبدأ سيلفا يديرها •• وعندئذ صاحت العمة روز :

ـ ان الماء يأتى أحيانا ، وأحيانا أخرى لا يأتى بالمرة ••

ولكن الماء تدفق من الطلمبة الصدئة ، فقال سيلفا :

ـ أتى الماء فى هذه المرة ••

وأقبلت بيبى دول عندما سمعت صوت الماء ، وطلبت أن تشرب قليلا من الماء البارد •• فاتجه روك نحوها بالاناء •• وخرجت العمة روز أيضا من مطبخها وهى تسوى ثيابها لتبدو أنيقة نظيفة جذابة أمام الغريبين •• وأثر منظرها فى نفس سيلفا تأثيرا عظيمـــا ، فقال لها :

ـ أتريدين أن تشربى من هذا الماء !

فابتسمت العمة ابتسامة فاتنة وأقبلت تحييه :

ـ كيف حالك ؟•• أنا العمة روز كمفارت ماكوركل • كان أخى والد بيبى دول المستر ت• س كارسون • وأنا هنا فى زيارة منذ •• منذ ••

ورفعت حاجبيها وحاولت أن تتذكر بالتحـــديد متى بدأت زيارتها الطويلة •• ولكنها لم تستطع •• وأعاد روك الاناء الذى كانت بيبى دول تشرب منه ، وهو يشعر بسرور عظيم لانه أدى خدمة لتلك الفتاة الجميلة •• ونال فى مقابلها ابتسامة رقيقة وبضع كلمات تبادلاها ••

وانتهزت دجاجة عجوز فرصة فتح باب المطبخ فاندفعت اليه لعلها تصيب شيئا يؤكل ولمحتها العمة روز فأسرعت نحوها بعد أن اعتذرت لسيلفا عن اضطرارها لتركه لكى تمنع الدجاجة من العبث بمطبخهـــا ٠

وأخذت بيبى دول تسير نحو الطلمبة كما لو كانت منجـذبة دون وعى بمغناطيسية الرجلين الشابين ٠٠ وقالت :

ـ هناك فارق كبير بين هذه المياه والميــــاه الاخرى ٠٠ انك لا تظن هذا ٠٠ ولكن هناك فارق بالتأكيد ٠٠

وطلب سيلفا من روك أن يمسك الاناء ريثما يدير هو الطلمبة ٠٠ ثم خلع قميصه ووقف عارى الصدر وتناول الاناء الممتلىء بالماء وصبه فوق رأسه وقال لروك :

ـ اذهب أنت الى المحلج ٠٠ اذهب مع القطن ٠٠

فسار روك ٠٠ ونظر سيلفا الى بيبى دول وهو يمسح الماء بيده عن بدنه ٠٠ فوجدها تنظر اليه بعينين مفتوحتين وتتطلع الى صدره العارى بذهول ٠٠ ولاحظت أنه ينظر أليها فابتسمت قائلة :

ـ اننى لا أجرؤ على تعريض نفسى للشمس هكذا ٠٠ فان الشمس تحرق جلدى ٠٠

فقال سليفا :

ـ اننى أحب أن أشعر بأشعة الشمس الدافئة على بدنى ٠٠

فقالت بيبى دول وهى لا تزال تحدق فى صدره العارى :

ـ ولكن هذا اللون الاسمر ليس بسبب أشعة الشمس ٠٠ انه لونك الطبيعى ٠٠

وصمتت ٠٠

وشرد ذهنها وهى تتأمل صدره العارى ٠٠ فقد كان صــدرا جميلا حقا ٠٠ وكان سيلفا وسيما وشابا وقويا ٠٠ كما أنه كان رقيقا مهذبا ٠٠

وأجرت فى ذهنها مقارنة سريعة بين ســيلفا وارتشى لى ٠٠ وكانت كفة سيلفا ترجح فى كل مرة ٠

وظل سيلفا يرقب الصراع الذى كان يدور فى أعماق بيبى دول ٠٠ واستطاع بذكائه أن يفهم أنها لا تحب ارتشى لى ٠٠ وان العلاقة القائمة بينهما ليست علاقة زوجين متحابين ٠٠

وسار بضع خطوات ٠٠ ثم سألها :

ـ ألا يأتى جامعو القمامة الى هذا الطريق ؟

فقالت :

ـ انه يكلفنا أجرا اضافيا اذا طلبنا منهم أن يأتوا الى هنا ٠٠ ويقول ارتشى لى أن هذه عملية سرقة فى وضح النهار ٠٠ ولذلك رفض أن يدفع ٠٠ وأصبح المكان الآن ممتلئـــا بالذباب والبعوض وحشرات أخرى كثيرة ٠٠ اننى لا أكاد أحتمل البقاء هنا فى بعض الاحيـــان ٠٠

وتوقفت عن المسير فسألها :

ـ فهمت أن لديك بعض الغرف الخالية فى هذا المنزل ٠٠

فروت له قصة الاثاث الذى اشتروه بالتقسيط من شركة الاثاث وكيف أن التوقف عن دفع الاقساط أدى الى اســتيلاء الشركة على الاثاث ٠٠ وترك البيت خاليا ٠٠ فأظهر سيلفا عطفه واستياءه من المأساة وسألها متى حدثت هذه الكارثة ٠٠

ـ انها حدثت أمس ٠٠ أليس هذا فظيعا ؟٠٠

ـ كلانا حدثت له كارثة فى اليوم نفسه ٠٠

ـ كيف ٠٠؟

ـ أنت فقدت أثاثك ·· وأنا احترق محلجى ·· « مصــــادفة غريبة » ··

ـ طبعا ·· طبعا ·· ولكن ماذا نستطيع أن نفعل فى حفنة من الغرف الخالية ؟

ـ يمكنك أن تلعبى فيها لعبة الاستغماية ·· عسكر وحرامية

ـ لا ·· لا أستطيع ·· أننى لست رياضية ··

ـ هل عشت فى هذا المكان مدة طويلة ؟··

ـ لا ·· لم أعش فيه مدة طويلة ··

ـ عندما أتيت الى هذه المقاطعة للاشراف على المزرعة التعاونية·· كان البيت خاليا ·· وقيل لى أنه مســكون ·· ثم أتيتم أنتم وأخذتموه ··

ـ نعم ·· كان مسكونا ·· ولهذا اشتراه آرتشى لى بمبلغ قليل جدا ·· ولكننى أحيانا لاأدرى الى أين أذهب ·· وماذا أعمل ··

ـ هذا شىء عادى ·· فالناس يدخلون الى هذا العالم دون أن تكون لديهم تعليمات كافية ·· ترشدهم الى أين يذهبون ·· وماذا يعملون ·· ولهذا فانهم يظلون حيارى ·· ثم يذهبــون ويتركون مكانهم لاخرين جدد ·· لا شىء يدوم ··

ـ ولكن بيبى دول · لم تتابع حديثه باهتمام ·· فقد عاد ذهنها الى الشرود ·· فتوقف سيلفا عن الحديث وظلا يسيران متجاورين ·· صامتين ·· ومال سيلفا الى الارض والتقـــط زهرة برية ·· ورفعها الى أنفه يشمها ·· ونظر الى بيبى دول ·· فوجد أنها تنظر اليه ·· والتقت نظراتهما لحظة ·· ·· فابتسما ··

وبدأ بينهما تفاهم غريب ·· غامض ·



أما هو فقد أذهلته براءتها وبساطتها .. وأثارته أنوثتها الطاغية وفتنتهـــا المثيرة

كانت تشعر بارتياح واطمئنان الى جواره ٠٠ وأحست بأنه يثير فى نفسها انفعالات جديدة عليها لم تعرفها من قبل ٠٠ انفعالات غامضة لا تدرك عنها شيئا ٠٠

أما هو فقد أذهلته براءتها وبساطتها ٠٠ وأثارته أنوثتها الطاغية وفتنتها المثيرة ٠٠

بدأ سريان تيار قوى غامض فى روحيهما ٠٠

الفصل السابع

طال وقوفهما ٠٠

ورأى سيلفا فى جانب من الحديقة هيكل سيارة قديمة بلا اطارات ٠٠ وكانت السيارة ملكا للسيدة التى كانت تملك البيت ٠٠ والتى يقولون ان روحها تسكنه حتى الان ٠

تقدم سيلفا نحو هذه السيارة العتيقة ، وفتح بابها الجانبى وانحنى فى احترام شديد وقال لبيبى دول ٠٠ التى كانت تتبعه فى صمت :

ـ الى أين ٠٠ يا سيدتى ؟٠٠

فضحكت بيبى دول ٠٠ وقالت انها فكرة لطيفة أن يجلس المرء فى هذه السيارة بعد أن ذهب أثاث البيت ٠٠ ودخلت الى السيارة وغرقت فى المقعد الخلفى ٠٠ وجلس سيلفا الى جوارها ٠٠ وأغلق الباب ٠ وبدأت بيبى دول تخرج من شرودها الذهنى ٠٠ وعاد اليها مرحها ٠٠ فقالت وهى تضحك كالطفلة :

ـ أيها السائق ٠٠ سر بنا على ضفة النهر بأسرع ما تستطيع ٠٠ ودع النوافذ جميعها مفتوحة حتى أشعر بالهواء البارد يرطب بدنى ٠٠

فقال سيلفا وهو يتصنع الجد :

ـ حسن يا سيدتى ٠٠ أتسرك هذه السرعة ؟٠

ولكن بيبى دول كانت تحس بالدفء يغمر بدنها ٠ ثم أدركت فجأة أن بدنه ملتصق ببدنها ٠٠ فقالت :

ـ أيها السائق ٠٠ اجلس فى المقعد الامامى ٠

فنظر سيلفا الى المقعد الامامى ، ولكنه رأى أنه لا توجد عليـه حشية من الجلد ٠٠ فابتسم ٠٠ فقالت :

ـ من الصعب أن يجد المرء مقعدا مريحا بعد أن أخذت شركة الاثاث كل شىء ٠

فقال وهو ينظر الى عينيها :

ـ من الصعب أن يجد الانسان راحة عندما تأخذ الشركة الاثاث ٠٠ ويحترق المحلج ٠

فنظرت اليه وقالت :

ـ انك تقول ذلك وكأنك تعتقد أن هناك رابطة بينهما ٠ صلة بين الحادثين ٠٠ أرجوك أن تسمح لى بالخروج من السيارة ٠٠ اننى لا أستطيع أن أمر فوق ساقيك ٠٠

ـ ألا تستطيعين أن تمرى فوق ساقى ؟٠٠

ـ لا ٠٠ لا أستطيع ٠٠ اننى لست ٠٠ رياضية ٠

وحاولت أن تفتح الباب المجاور لها ٠٠ ولكنه كان مســـدودا بجذع شجرة ٠٠ فمال سيلفا نحوها حتى أصبح وجهه يكاد يلامس وجهها ٠٠ وقال لها :

ـ ان هذا المقعد هو أفضل مكان للراحة هنا ٠٠ كما أنه أبرد ٠٠ ما هذا ؟

وأمسك يدها ٠٠ وكانت فيها اسورة تتدلى منها قطع ذهبيـــة صغيرة عديدة ٠٠ فنسيت رغبتها فى الخروج وغرقت فى مقعدها ملتصقة به ٠٠ وأخذ سيلفا يتأمل القطع الذهبية الصغيرة المدلاة من الاسورة ٠٠ فقالت له :

ـ لقد أعطانى أبى هذه الاسورة ٠٠ وهذه القطع الصغيرة ٠٠ قطعة لكل عيد من أعياد ميلادى ٠

فقال :

ـ هذه فكرة بديعة ٠٠ اذن يمكنني أن أعرف كم سنة جميلة يبلغ عمرك ٠٠

ـ نعم ٠٠ بعدد القطع المدلاة من الاسورة ٠٠

ـ أتسمحين لى بأن أعدها ٠٠؟

وازداد بها التصاقا ٠٠ وأخذ يعد القطع الذهبية الصغيرة ٠٠

ـ أربع عشرة ٠٠ خمس عشرة ٠٠ ست عشرة ٠٠ سبع عشرة ٠٠ ثمانى عشرة ٠٠ تسع عشر ٠٠ و ٠٠

فقالت :

ـ هذه هى كلها ٠٠ غدا سوف أبلغ العشرين ٠ وغدا أيضا تجرى الانتخابات ٠٠ فيوم الانتخاب هو عيد ميلادى ٠ لقد ولدت يوم انتخب فرانك ويلانو روزفلت رئيسا لاول مرة ٠٠

ـ يوم عظيم للدولة ٠٠ لسببين :

كان رجلا يستحق الاحترام ٠

وأنت سيدة تستحقى الاحترام ٠٠ يا مسز ميجان ٠

ـ أنا ؟٠٠ أوه ٠٠ لا ٠٠ اننى لم أتعد السنة الثانية فى المدرسة الابتدائية ٠

ـ ولماذا تركت المدرسة ؟

ـ لم أستطع أن أفهم عمليات الضرب والقسمة ٠٠

ـ ايه ؟٠٠

ـ كان المدرس يطلب منى أن أذهب الى السبورة لكى أحل مسائل القسمة ٠٠ فكنت أذهب وأقف أمام السبورة وأضع رأسى عليها وأبكى ٠٠ وأبكى ٠٠ وأبكى ٠٠ اوه ٠٠ ألا تظن أن هذا المكان شديد الحرارة ٠٠ يا سيد فاكارو ٠٠ اننى لا أستطيع أن أمر فوق ساقيك ٠

وكانت تلهث ٠٠ فأدنى شفتيه من وجنتيها ٠٠ وهمس :

ـ هل تريدين أن أحرك ساقى ؟٠٠

ورفع ساقيه ٠٠ ونهضت ٠٠ واستمرت تروى قصتها :

ـ نعم ٠٠ كنت أبكى وأبكى ٠٠ طويلاً ٠٠ وبعد ذلك تركت المدرسة ٠٠ فتاة بلا تعليم ٠٠ جاهلة ٠٠ أوه ٠٠ ان رأسى يدور ٠٠ يظهر انى أصبت بضربة شمس ، يستحسن أن أجلس فى الظل ٠٠

وتبعها فاكارو الى ظل الشجرة المجاورة لهيكل الســـيارة ٠٠ وكانت هناك ارجوحة ٠٠ فوثب والتقط من الشجرة بندقة كسرها بفمه وقدمها لها ٠٠ فالتفتت اليه بدهشة قائلة :

ـ مستر فاكارو ٠٠ اننى لا أستطيع ٠٠ لا أستطيع على الاطلاق ٠٠ اننى لا أجرؤ على أن آكل بندقة كسرها رجل بفمه ٠

فقال وهو يبتسم :

ـ انك رقيقة ٠٠ مهذبة ٠٠ اننى أعتقد أنه يجدر بك ألا تفكرى فى فشلك فى حل مسائل القسمة ٠ انك على أية حال قد نجحت فى حل مسائل الجمع والطرح ٠٠ وهذا هو كل ما تحتاج اليـــه أية سيدة ٠٠

فقاطعته ٠٠ قائلة :

ـ اننى أود أن أعود الى البيت ٠٠ ولكننى أشعر بالضيق عندما أسير فى هذه الغرف الخالية ٠

فســـألها :

ـ أكل الغرف خالية ؟٠

ـ كلها ما عدا غرفة الاطفال ٠٠ والمطبخ ٠ فأثاث هاتين الغرفتين ثمنه مدفوع ٠٠

ـ ألديك طفل فى غرفة الاطفال ٠٠

ـ لى أنا ؟٠٠ لا ٠٠ اننى أنام فى غرفة الاطفال ٠٠ فى المهد ٠

ـ ولماذا تنامين فى غرفة الاطفال ؟٠

ـ مستر فاكارو ٠٠ هذه مسألة شخصية ٠

وصمتنا مرة أخرى ٠٠

وكانت تشعر بحيرة ٠٠ انها لا تدرى سر القلق الذى ينتابها٠٠ فهى تشعر بشىء غامض يسرى فى أعماقها ٠٠ وكانت تريد أن تعمل شيئا ما ٠٠ أى شىء ٠٠ ولكنهـــا كانت لا تدرى الشىء الذى كان يثيرها ويقلقها ٠٠ وفجأة قالت :

ـ اننى أريد أن أعود الى البيت ٠٠ ولكن ٠٠ أتعرف أن هناك غرفا فى هذا البيت لم أدخلها قط ؟٠٠ أعنى الطابق العلوى الاخير مثـــلا ٠٠ اننى أخشى أن أذهب الى البيت بمفردى فى كثير من الاحيان ٠ ففى الليلة الماضية عندما شب الحريق جلست هنا على هذه الارجوحة ساعات وساعات الى أن عاد آرتشى لى ٠٠ كنت أخشى أن أدخل هذا البيت القديم بمفردى ٠٠

ولاحظ فاكارو هفوتها الثانية أيضا ٠ وقال :

ـ لا ريب أن البيت يكون مخيفا ٠٠ عندما لا يكون زوجـــك هنا ٠٠؟

ـ صدقنى ٠٠ ان الحريق أضاء كل هذه المنطقـــة ٠٠ وكانت هناك ظلال طويلة تثير الجنون ٠٠ ولم يكن فى المدفأة قطعـــة فحم واحدة ٠٠ والبعوض ٠٠ كل هذا جعلنى غاضبة من ارتشى لى٠

ـ غاضبة عليه ٠٠ ولماذا ؟

ـ لانه ذهب وتركنى هنا وحيدة ٠٠ بدون قطعة فحم واحـدة فى البيت ٠

ـ هل ذهب ٠٠ وتركك وحيدة ؟

ـ نعم ٠٠ فعل هذا بالتأكيد بعد العشاء مباشرة ٠ وعندما عاد كان الحريق قد شب ٠ وملأ الدخان عينى وأنفى وحلقى ٠٠ كنت فى حالة عصبية شديدة جعلتنى أبكى ٠

ـ يبدو انك قضيت ليلة مزعجة ٠ اذن فقد اختفى ارتشى لى بعد العشاء ؟٠٠

وأدركت بيبى دول انه كان يرمى الى شىء ٠٠ فقالت :

ـ أوه ٠٠ لحظة فقط ثم عاد ٠٠

ـ لحظة ؟٠٠ كم يبلغ طول هذه اللحظة ؟

ـ ما الذى ترمى اليه يا سيد فاكارو ؟

ـ ارمى اليه ؟ لا شىء ٠

ـ ولكنك تنظر الى بطريقة غريبة ؟

ـ كم يبلغ طول اللحظة التى اختفى فيها ٠٠ هل تذكريـــن يا مسز ميجان ؟

ـ وما أهمية ذلك ؟ لماذا يهمك هذا ؟

ـ لماذا يضايقك سؤالى ٠٠؟

ـ انك تجعلنى أشعر بأننى فى محاكمة ٠٠

ـ ألا تريدين أن تتصورى انك شاهدة فى قضية ؟٠٠

ـ شاهدة على ماذا ؟

ـ شاهدة على ٠٠ جريمة اتلاف ممتلكات مثلا ؟٠٠

ـ جريمة ٠٠ اتلاف ممتلكات ٠٠ ما هذا ؟

ـ اتلاف ممتلكات عمدا ٠٠ بالحريق ٠٠

ـ أوه ٠٠

وأطرقت ٠٠ وأخذت تتحسس كيس نقودها ٠٠ فقال :

ـ هناك شيء ألاحظه دائما على السيدات ٠٠

ـ ما هو ٠٠؟

عندما تثور أعصابكن فانكن دائما تحببن أن يكون فى أيديكن شيء تمسكنه كهذا الكيس الابيض ٠٠

ـ هذا الكيس ؟٠٠

ـ نعم انه يهيىء لك شيئا تتمسكين به ٠٠ أليس هذا صحيحا ٠٠٠؟

ـ اننى أحب دائما أن يكون فى يدى شيء ٠٠

ـ طبعا ٠٠ فانك تشعرين بأن هناك أشياء غير مؤكدة ٠٠ كثيرة ، فالمحلج يحترق ولا يعرف أحد سبب الحريق ٠٠ ويأتى رجال الاطفاء بغير معدات كافية ٠٠ فليست هناك حماية ٠٠ وشمس بعد الظهر تبعث دفئا كثيرا ٠٠ والاشجار ٠٠ ليست حماية كافية ٠٠ والبيت ، انه مسكون ٠٠ وزوجك ٠٠ انه فى الناحية الاخرى ٠ ومشغول ٠ فهو لا يهيىء لك حماية ٠٠ والقماش المصنوع منه هذا الثوب خفيف ورفيع ٠٠ فهو لا يحميك ٠٠ فماذا تفعلين اذن ؟ تلتقطين كيس النقود الابيض ٠٠ انه شيء تتمسكين به ٠٠

ـ الآن ٠٠ يا سيد سيلفا ٠٠ ما هذه الافكار ؟

ـ أية أفكار ؟

ـ ان زوجى اختفى بعد العشاء ٠٠ اننى أستطيع تفسيرها ٠

ـ أتستطيعين ٠٠ حقا ؟

ـ أستطيع بالتأكيد ٠٠

ـ جميل كيف تفسرينها ؟

وحدق فيها ٠٠ فأطرقت ٠٠ فقال :

ـ ماذا بك ٠٠؟ ألا تستطيعين جمع أفكارك ؟ هل خلا ذهنك من كل شيء عن هذا الموضوع ؟٠٠

ـ اسمع ٠٠

ـ أتجدين انه من المستحيل أن تتذكرى سبب اختفاء زوجك بعد العشاء ؟٠ ألا تستطيعين أن تتصورى نوع المهمة التى ذهب من أجلها ؟

وبدأت تشعر بالحرج ٠٠ فقالت :

ـ لا ٠٠ لا ٠٠ لا أستطيع ٠٠

ولكنه واصل هجومه :

ـ ولكنه عندما عاد ٠٠ كان الحريق قد شب فى المحلج ٠٠

ـ يا سيد فاكارو ٠٠ ليست لدى أقل فكرة عمـــا يمكن أن ترمى اليه ٠٠

ـ انك شاهدة غير مرضية على الاطلاق ٠٠ يا مسز ميجان ٠٠

ـ اننى لا أستطيع أن أفكر عندما يحدق الناس فى ٠٠

ـ اذن سأنظر بعيدا عنك ٠٠

وحول رأسه ٠٠ وأدار ظهره لها ٠٠ قائلا :

ـ والآن ٠٠ هل تحسنت ذاكرتك ؟٠٠ أتستطيعين الآن أن تجمعى شتات أفكارك ؟

ولكنها لم تجب ٠٠ فابتسم ابتسامة الظافر فى المعركة ٠٠ وقال وهو ينظر اليها :

ـ أتريدين أن نترك هذا الموضوع ؟

فتنهدت ٠٠ وقالت بسرعة :

ـ بالتأكيد أريد ذلك ٠٠

وجلست على الارجوحة ٠٠ وهى لا تكاد تصدق أنها تخلصت من المأزق الذى كانت فيه ٠٠ وقال :

ـ لا فائدة طبعا من البكاء على محلج محترق ٠٠ ثم ان زوجك قال : ان العالم يقوم على مبدأ : خدمة بخدمة ٠٠ ودقة بدقة ٠٠

فسألته ماذا يعنى ·· ولكنه هز رأسه قائلا انه لا يعنى شيئا ·· ولكنه كان يفكر فى أشياء كثيرة بعيدة ··

ثم دنا من الارجوحة وسألها أن تفسح له مكانا الى جوارها ·· فتحركت قليلا وسألته ··

ـ هل الارجوحة قوية الى حد يكفى لحملنا نحن الاثنين معا ؟··

ـ أرجو ذلك ·· فلنتأرجح قليلا ، فانه يبدو أن أعصابك متوترة ·· والحركة تريح الاعصاب · الارجوحة كالمهد ·· والمهد يريح الطفل ·· لماذا يسمونك بيبى ؟

ـ للتدليل ··

ـ ان أعصابك لا تزال متوترة ··

ـ انك تثير أعصابى ·

ـ لاننى أتأرجح معك ؟

ـ لا ·· ليس هذا هو السبب

ـ ما السبب ·· اذن ؟

ـ تلك الاسئلة التى ألقيتها على بشأن الحريق ··

ـ اننى كنت أستفسر فقط عن زوجك ·· عن سبب تركه المنزل بعد العشاء ··

ـ ولماذا أفسر لك سبب تركه المنزل ؟·· على كل ·· لقـــد فعلت ذلك ·· أظن اننى فسرته لك ··

ـ انك قلت انه غادر المنزل قبل حدوث الحريق ··

ـ وماذا فى ذلك ؟ لقد فسرت لك هذا ·· فسرته لك ·

ـ وماذا كان التفسير ؟ لقد نسيته ··

وشعرت بالحرج من جديد · وبدأ سيلفا يضيق الخناق عليها ·· وأخذت حبات العرق تتجمع على جبينها ·· انها لا تستطيع أن تفكر فى طريقة تخلصها من هذا المأزق ·· وحاولت أن تكسب قليلا من الوقت لكى تفكر ·· فقالت :



وسألته هل الارجوحة قوية الى حد يكفى لحملنا نحن الاثنين معا

ـ انك تتحدث عن زوجى أليس كذلك ؟

ـ أجل ٠٠ اننى أتحدث عنه ٠

ـ وكيف لى أن أعرف ؟

ـ ألا تعرفين الى أين ذهب بعد العشاء ٠٠؟

ـ وكيف أعرف الى أين ذهب ؟

ـ حسبت انك قلت انك فسرت لى ٠٠

ـ أجل ٠٠ لقد فسرته ٠٠

ـ كيف يمكن أن تفسرى لى شيئا لا تعلمينه ٠٠؟

ـ ليس هناك مبرر لان أفسر لك شيئا ٠٠

وأخذ سيلفا يهز الارجوحة ٠٠ وكان يفكر فى كلمات ارتشى لى: « دقة بدقة » ! ثم قال :

ـ ان ملاحظة زوجك لطيفة جدا ٠٠٠

ـ أية ملاحظة ؟٠٠

ـ سياسة حسن الجوار ٠٠ اننى أفهم الان ما كان يعنيه ٠٠

ـ انه كان يتكلم عن خطبة رئيس الجمهورية ٠٠

ـ أعتقد انه كان يتكلم عن شىء اخر أقرب الى المنزل ٠٠ وجرى بأصابعه على ذراعها ٠٠ ثم قال :

ـ ان جلدك ناعم ٠٠ لطيف ٠

فترددت قليلا ٠٠ ثم قالت :

ـ ان حديثنا يتجه اتجاها شخصيا ٠٠

ولكنه استمر يجرى أصابعه على ذراعها :

ـ نعم ٠٠ انك تجعليننى أفكر فى القطن ٠٠ لا ٠٠ لا يوجد نسيج ٠٠ ولا أى نوع من القماش ٠٠ حتى الساتان أو الحرير ٠٠ له نعومة جلدك ٠٠ ورقته ٠٠ وطراوته ٠٠

وحارت ٠٠ ماذا تفعل ؟٠٠ لقد كانت كلمات الاطراء ترضيها٠٠ ولكن لمسات أصابعه كانت تثيرها ٠٠ وقالت :

ـ لست أدرى ماذا أقول ٠٠ شكرا ٠٠ أم ماذا ٠٠؟

فقـــال :

ـ لأ ٠٠ ابتسمى فقـــط ٠٠ فان لك ابتسامة ساحرة ٠٠ وغمازتان ٠

ـ لا ٠٠ لا ٠٠

ـ أجل ٠٠ لك ٠٠ ابتسمى ٠٠ هيا ٠٠ ابتسمى ٠٠

وأدارت وجهها ٠٠ ولكنها لم تستطع أن تغالب الضحك ٠٠ ومد أصابعه برقة وأجراها على وجنتيها ٠٠ ليريها انغمازتين اللتين تظهران عندما تبتسم ٠٠ ولكنها ترتعد ٠٠

ـ أرجوك ٠٠ لا تلمسنى ٠٠ اننى لا أحب أن يلمسنى أحد٠٠

ـ لماذا تضحكين اذن ؟٠٠

ـ اننى لا أستطيع أن أتمالك نفسى ٠٠ انك تثير أعصـــابى يا سيد فاكارو ٠٠

ـ نعـــم ؟٠٠

وعرضت لها فكرة ٠٠ لماذا لا تنتهز فرصة انجذابه نحوهـــا لتشن هجوما اخر ٠٠ تعتمد فيه على أنوثتها ٠٠

ـ أرجو ألا تعتقد أن لارتشى لى دخلا فى ذلك الحريق ٠ اننى أقسم لك أنه لم يخرج من البيت ٠ اننى أتذكر الآن جيدا ٠ لقـد جلسنا هنا على الارجوحة الى أن شب الحريق ٠٠ ثم ذهبنا بالسيارة الى المدينة ٠٠

فتســاءل :

ـ لتحتفلوا ؟

ـ لا ٠٠ لا ٠٠

ــ ان سبعا وعشرين مركبة مملوءة بالقطن هى عمل كبير ٠٠ يسقط عليكم كهدية من السماء يا مسز ميجان ٠٠

ووجدت أن المغامرة فشلت ٠٠ فآثرت أن تتراجع ٠٠

ــ ألم نتفق على ترك هذا الموضوع ٠٠ يا مستر فاكارو ؟٠٠

ــ انك أنت التى فتحته هذه المرة ٠٠

ــ يستحسن أن أصنع كوبا من عصير الليمون ٠٠

ــ لا ٠٠

ــ لماذا ؟٠٠

ــ لاننى لا أريد أن أحرم من رفقتك ٠٠

ــ اذن ٠٠ هل تسمح بأن تحرك ذراعك ٠٠ قليلا ؟٠٠

ــ هل تضايقك ؟٠٠ سأذهب ٠ اذن ٠

ــ هيا ٠٠ اننى أشعر بأنى مريضة ٠٠ رأسى يدور ٠٠

ــ رأسك يدور !

ــ نعم ٠٠ يدور ٠٠ ويلف ٠٠ هل على ذراعى شىء ؟

ــ لا ٠٠

ــ اذن ما الذى تمسحه ٠٠ بيدك ؟

ــ هذه قطرات من العرق ٠٠ سأمسحها ٠٠

ــ لا ٠٠ لا ٠٠ أرجوك ٠٠ هاها ٠٠ انك تدغدغنى ٠٠

ــ كيف ؟

ــ اننى أشعر بلمسة أصابعك تسرى فى بدنى كله ٠٠ فوق وتحت ٠٠ كف الآن ٠٠ اذا لم تكف عن لمسى فاننى سأنادى ٠٠

ــ من ٠٠٠؟

ـ سأنادى هذا العامل الزنجى الذى يفلح الارض ٠٠ هناك فى الطرف الاخر من الطريق ٠٠

ـ هيا ٠٠ ناديه ٠٠

ـ هادى ٠٠ هادى ٠٠

ـ ألا تستطيعين الصياح بصوت أعلى ؟

ـ اننى أشعر بشعور غريب ٠٠ ماذا حدث لى ؟

ـ استريحى ٠٠ كفى عن اثارة أعصابك ٠٠

ـ اننى لا أثير أعصابى ٠٠ بل أنت ٠٠ أنت الذى تثيرها ٠٠

ـ أنـــا ؟

ـ نعم ٠٠ انت بشكوكك ٠٠ حول زوجى ٠٠

ـ شكوك ؟٠٠ أية شكوك ٠٠؟

ـ أنه أحرق محلجك ٠٠

ـ حســـن ؟

ـ انه لم يفعل ذلك ٠٠

ـ ألم يفعل ٠٠ ذلك ؟

ـ اننى سأعود الى البيت ٠٠

وسارت ٠٠ وتبعها وهو يكاد يلتصق بها ٠٠ قائلا :

ـ ولكنك خائفة من البيت ٠٠ أتؤمنين بالاشباح ؟٠٠ اننى أؤمن بها ٠٠ وبوجود الارواح الشريرة ٠٠

ـ أية أرواح شريرة تلك التى تتحدث عنها ٠

ـ الارواح التى تحدث العنف ٠٠ والخبث ٠٠ والدهـــاء ٠٠ والقسوة ٠٠ والخيانة ٠ ٠والتخريب ٠٠

ـ ولكن هذه صفات بشرية ٠

ـ انها أرواح شريرة تسكن قلوب الناس ·· وتسيطر عليها·· وتنتشر من قلب رجل إلى قلب آخر ·· كما تنتشر النار من ورقة الى ورقة ومن غصن الى غصن فى شجرة الى أن تصبح الغابة كلها شعلة من نار ·· وتقضى على كل شىء أخضر وجميل ··

وأدركت ما يرمى اليه ·· فسألته :

ـ أتفكر فى الحريق دائما ؟

فقـــال :

ـ اننى أراها أعمق كثيرا مما تبدو ·· فقد رأيتها في الليلة الماضية كانفجار لهذه الارواح الشريرة التى تطارد قلب الانسان · فكافحتها ·· وسرت اليها ·· ضربتها وأخمـــــدتها ولعنتها ·· وانتشلونى منها مختنقا · كنت مهزوما · وعندما أفقت كنت راقدا على الارض ·· وكانت النار قد كسبت المعركة · وكانت تحيط بى من كل جـــانب دائرة من الوجوه · وقد أضـــاءت الحريق تلك الوجوه ·· فنظرت اليها ·· وتأملتها ·· كانت مشرقة ·· وكانت عيونهم ·· وأسنانهم تلمع ·· هكذا

وحول وجهه الى مظهر مبالغ فيه للبهجة ·· وأمسكها بيديه ، وكانت قد وصلت الى مدخل البيت · وقرب وجهه من وجهها وهو يصـــيح :

ـ نعم هكذا ·· هكذا ··

فتراجعت مذعورة ·· وصاحت :

ـ أرجوك ·· لا تفعل ذلك ·· انك تخيفنى ·

ولكنه استمر :

ـ كانت الوجوه التى رأيتها ·· مشرقة ضاحكة · وعـــرفت عندئذ أن الحريق لم يكن حادثا عرضيا بالصـــدفة ·· بل مدبرا مقصودا متعمدا ·

وألصقها بالباب ·· ووضع ذراعيه على جانبيها · فقالت وهى تكاد تسقط من الاعياء :

ـ ليس حادثا عرضيا ٠٠ بالصدفة ؟

ـ لا ٠٠ لم يكن عرضيا ٠٠ كان تعبيرا ٠٠ كان اظهارا لارادة الناس فى التدمير ٠٠

ـ اننى لا أنظر اليه هذه النظرة ٠٠

ـ ولكننى أفعل ٠٠ اننى أؤمن بالاشباح ، بالاماكن المسكونة ، بالقلوب التى تملؤها الشياطين بالحقد والتخريب ٠٠ اننى أعتقد أن هذا المكان ـ هذا البيت ـ مسكون ٠٠ ماذا بك ؟

وكانت ترتعد ٠٠ وقالت :

ـ لا أدرى ٠٠

ـ أتخافين من دخول البيت ؟٠٠ أهذا هو السبب ؟

وصرخت بيبى دول :

ـ أيتها العمة روز ٠٠ أيتها العمة روز ٠٠

ولم تسمع ردا ٠٠ فنظرت اليه مذعورة ٠٠ وقالت بتوسل :

ـ ان المرأة العجوز ٠٠ صماء لا تسمع شيئا ٠

ولكنه لم يرحم ٠٠ ومضى قائلا :

ـ لا شك فى هذا ٠٠ ان هذا المكان مسكون ٠٠

فأمسكت عنقها ٠٠ وهمست ٠٠ متضرعة :

ـ اننى أشعر بظمأ ٠٠ والحر شديد ٠٠

ـ ولماذا لا تشربين قليلا من الماء البارد ٠٠؟

ـ أعتقد أنه يستحسن أن أصنع لنا قليلا من عصير الليمون٠٠ البـــــارد ٠٠

ولكنها لم تكن لسبب ما تريد أن تدخل البيت من الباب الامامى فاتجهت نحو الحديقة لتذهب الى المطبخ من الباب الخلفى ٠٠ ولكن حدث أن قدمها زلت وكادت تسقط لولا أن بادر سيلفا الى وضع

يده على ذراعها ، وأحاط خصرها بذراعه الاخرى ‥ فضحكت ضحكة خافتة ‥ ولكنها لاول مرة قبلت مساعدته ‥

وسارت خطوات ‥ وكانت قبضته على ذراعها الممتلىء لا تزال قوية ‥ وكان ذراعه الاخر يطوق خصرها وكأنها ستسقط فى أية لحظة ‥ وشعر بأنها ترتعد فسألها :

ـ انك ترتعدين يا مسز ميجان ‥ كل بدنك يرتعد ‥

ـ ان يديك ‥ دافئتان جدا ‥ انني لا أعتقد انني شعرت بيدين دافئتين كيديك ‥

ـ ملتهبتان ‥ أليس كذلك ؟

ـ نعم ‥ ملتهبتان ‥ انهما تحرقانني ‥

ـ ان فكرة عصير الليمون ‥ فكرة لطيفة جدا ‥ يسعدنى أن أساعدك فى عصر الليمون ‥

ـ طبعا ‥ أعرف ذلك ‥ أقصد ‥ أشكرك ‥ ولكننى أستطيع أن أقوم بذلك بنفسى ‥

ـ ألا تريدين مساعدتى ‥ يا مسز ميجان ؟

ـ لا ‥ انها ليست ضرورية ‥

ـ ولكنك عندئذ ستضطرين الى دخول المنزل وحدك ‥ والمنزل مسكون ‥ يتطلب أن أدخل معك ‥

ـ لا ‥ ليس ذلك ضروريا ‥

ـ أتريدين منى أن أبقى ‥ هنا ·

ـ نعم ‥ ابق ‥ هنا ·

ـ ولماذا لا آتى الى الداخل ؟

ـ لا سبب ‥ اننى ‥ فقط ‥ ابق هنا ريثما أعد عصير الليمون و‥

ـ حسن جدا ٠٠ تفضلى يا مسز ميجان ٠

ـ ابق هنـــا ٠٠

فلم يجب ٠٠ ولكنها لم تدخل ، بل أخذت تحدق فيه دون أن تنتقل خطوة واحدة ٠ فسألها :

ـ والان ٠٠ ماذا هناك ؟٠٠ لماذا لا تدخلين ؟

ـ أعتقد انه يستحسن ألا أدخل الان ٠٠ سأذهب الى المحلج ٠٠ فهناك ماء بارد ٠٠

وراحت تعدو ٠٠ وهى تتعثر ٠٠ وكأنها سكرى ٠٠ تترنح ٠٠ وتتمايل ٠٠

الفصل الثامن

وقف سيلفا يرقب بيبى دول وهى تعدو الى الطـــريق خارج الحديقة ·· نحو المحلج ·

وفى المحلج كانت أزمة أخرى تواجه آرتشى لى ·· فقد تبين أن الآلات لا تستطيع أن تعمل لان قطعة منها كانت تالفة ·· وبذل العمال كالمعتاد كل ما يمكن بذله لادارة الآلات مع تغيير وضع القطعة التالفة ·· ولكن جهودهم ذهبت عبثا · ووقف ارتشى لى ، وحوله العمال ، يتناقشون ويبدون الآراء فيما يمكن عمله ··

وفى وسط هذا الجو المضطرب القلق ·· اندفعت بيبى دول تعدو الى داخل المحلج ··

وما كاد آرتشى لى يلمحها ، حتى نظر اليها باستياء وانغضب وصرخ فيها :

ـ ماذا تفعلين هنا ؟·· أجننت ؟··

فقالت له وهى ترتعد :

ـ أريد أن أقول لك شيئا ·· أيها الاحمق ··

وكان هذا أشد مما يحتمل ارتشى لى ·· فهرول نحوها وضربها بيده ضربات شديدة قاسية وهو يصرخ فيها بوحشية وغضب :

ـ قلت لك مائة مرة لا تعبرى الطريق الى هذا المحلج ·· أبدا ·· أبدا ·· أبداً ··

وكان الشرر يتطاير من عينيه ·· فوضعت يديها على عينيها ·· وظلت ترتعد ·· وهى تقول :

ـ انك تركتنى ·· أتعرف مع من تركتنى هناك ··؟

وفى هذه اللحظة بدا سيلفا على باب المحلج ·· ووقف يشاهد المنظر من بعيد ·· فراح ارتشى لى ينقل نظراته بين ســـيلفا وبيبى دول ··

وتقدم سيلفا خطوات نحو ارتشى لى ، وسأله فى هدوء :

ـ كيف يسير العمل ·· يا سيد ميجان ؟·

ـ حسن ·· عظيم ··

ـ اننى شخصيا لا أسمع صوت الآلات على الاطلاق ··

وخرجت بيبى دول من المحلج وهى تشتم ارتشى لى ··

ويعود ســيلفا الى الحديث مرة أخرى ·· بعد أن يتابعهـــا بعينيه حتى خرجت :

ـ ما سبب العطل ؟··

ـ لا شئ ··

فهز سيلفا رأسه ·· ونادى مساعده روك ·· فأبلغــــه روك بسبب توقف الآلات ·· فنحاه سيلفا بيده جانبا ، واتجـــــه نحو آرتشى لى ، وقال له بلهجة الآمر المسيطر على الموقف :

ـ هذا هو الموقف اذن · لقد فحصت آلاتك يا ميجان قبل أن أنشئ محلجى ·· وقد أنشأت محلجا لان آلاتك كانت غير صالحة·· ولا تزال غير صالحة ·· الساعة الآن الثانية والربع حسب ساعتى ·· ولا تزال هناك ثلاث وعشرون مركبة محملة بالقطـن فى الخارج ·· فاذا لم تتحرك هذه الالات بسرعة أكبر ··

فقاطعه ارتشى لى · ·وقد أثارته لهجة سيلفا :

ـ الآن ·· لا تثر أعصابك ·· ان الايطاليين يتهيجون سريعا ·

فصاح سيلفا :

ـ دعك من الايطاليين ·· يستحسن أن تحصل على قطعة جديدة لكى تدور الالات ·· وتحلج هذا القطن ·· اذا لم تجد قطعة مثلها



فقال سيلفا فى هدوء .. الهدوء الذى يسبق العاصفة :

- كلمة أخرى منك .. اذا سمعت كلمة واحدة أخرى ..

فى كلاركسيديل ·· فيستحسن أن تذهب الى تونيكا ·· واذا لم تجد واحدة فى تونيكا ·· فاذهب الى ممفيس ·· واذا لم تجد هناك فاستمر فى طريقـــك الى سانت لويس ·· والآن اركب جوادك وانطلق ··

فصرخ ارتشى لى والشرر يتطاير من عينيه :

ــ اسمع ·· يا سيلفا ··

فقال سيلفا فى هدوء ·· الهدوء الذى يسبق العاصفة :

ــ كلمة أخرى منك ·· اذا سمعت كلمة واحدة أخرى ·· سأذهب بقطنى عبر النهر ·· قلت لك اركب جوادك ··

وازاء هذا التهديد الواضح القاطع ، ونظرات سيلفا المصوبة اليه ·· سكت ارتشى لى ·· وتردد قليلا ثم قرر أن يبتلع كرامته ويتجاهل الاذلال الذى تعرض له أمام العمال ·· ورأى أنه ليس أمامه غير سبيل واحد ·· فخرج دون أن ينبس ببنت شفة ·

❖

ونادى سيلفا مساعده روك ·· وقال له انه أحضر معـــه فى سيارته قطعة جديدة تماثل القطعة التالفة وطلب اليـــه أن يذهب ويعود بها ، ويركبها فى موضعها بمساعدة « هانك » ·· لكى تدور الالات ·· فلمعت عينا روك وسأل سيلفا عن القطعـــة التى ذهب آرتشى لى لاحضارها فقال له سيلفا : انه ليس فى كلاركسيديل قطعة مماثلة ·· وسيضطر آرتشى لى الى مواصلة السفر الى ممفيس ·· ومعنى هذا أنه لن يعود قبل أن يحل المساء ··

فابتسم روك ··

وابتسم سيلفا ·

الفصل التاسع

ارتمت بيبى دول تبكى على أرض الحديقة بعد أن تركها الكل وحيدة ٠٠ ضعيفة خائفة ٠٠ فقد ذهب ارتشى لى بالسيارة ليشترى قطعة جديدة لمحلجه ، وتوسلت اليه أن يأخذها معه ولكنه أبى أن يستمع لتوسلاتها ٠٠

ثم ذهبت العمة روز ـ وقد ارتدت ثياب الخروج ـ لتزور صديقة لها فى المستشفى ، وهكذا وجدت بيبى دول نفسها ٠٠ وحيـــدة فارتمت على الارض تبكى ٠

واقترب سيلفا منها وسألها :

ـ أيزعجك أن تكونى هنا وحدك ٠٠ معى ٠٠

فالتفتت اليه وعيناها غارقتان فى الدموع ٠٠ وقالت :

ـ انها تظاهرت بأنها لم تسمعنى ٠٠ انها تحب الشـــوكولاتة ولذلك تبحث فى الصحف عن أحد تعرفه يكون قد ذهب الى مستشفى القـــرية ٠٠

فسألها بدهشة :

ـ المستشفى !٠٠

فقـــالت :

ـ انهم يعطون المرضى فى المستشفى حلوى ٠٠ أقارب المريض وأصدقاؤه يرسلون اليه أزهارا وحلوى ٠٠ فتـــذهب العمة روز وتأكل الشوكولاتة ٠

فانفجر سيلفا ضاحكا ٠٠ وابتسمت بيبى ٠٠ ومضت قائلة :

ـ حدث مرة أن كانت صديقة عجوز من صديقات العمة روز تموت فى المستشفى ، فذهبت العمة وظلت تلتهم الشوكولاتة حتى

أتت على علبة بكاملها ٠٠ بينما كانت الصديقة العجوز تموت ٠٠ ها ها ٠٠ اننى أحب العجائز ٠٠ انهم مجانين ٠٠

وضحكا معا ٠٠ وسألها فجأة :

ـ مسز ميجان ٠٠ هل لى أن أسألك شيئا ؟٠٠ انه سؤال يتعلق بموضوع شخصى ٠٠

فقالت باهتمام شديد ٠٠ ولا يزال وجهها باسما :

ـ ماذا ؟

فقـــال :

ـ هل أنت حقا متزوجة من المستر ميجان ؟

ـ يا مستر فاكارو ٠٠ هذا سؤال شخصى ٠٠

ـ كل الاسئلة شخصية ٠٠ فى الاغلب ٠٠ يا مسز ميجان ٠٠

ـ حسن ٠٠ عندما تزوجت لم أكن مســتعدة للزواج ٠ كنت لا أزال فى الثامنة عشرة ٠٠ ولكن أبى كان على فراش الموت وكان يريد أن يرى أن هناك من يرعانى قبل أن يموت ٠ وكان ارتشى لى يحوم حولنا منذ مدة طويلة كالكلب المريض ٠٠ ولكنه كان خيرا من الأولاد الآخرين ٠٠ فقد كان أكبر سنا وكان عمله ـ وقتئذ ـ طبيبـــا ٠٠ فلم يكن محلجـــك قد أنشىء فى ذلك الوقت ٠٠ وكان آرتشى لى يحلج أقطانا كثيرة ٠٠ فقلت لأبى : اننى لست مستعدة للزواج ٠ فقال أبى لارتشى لى اننى غير مستعدة ، فوعد أبى بأنه سينتظر الى أن أصبح مستعدة ٠٠

فسألها سيلفا باهتمام :

ـ اذن أرجىء الزفاف ؟

ـ لا ٠٠ ليس الزفاف ٠٠ لقد تمت حفلة الزفاف ٠٠

فقاطعهـــا :

ـ ولكنك قلت ان آرتشى لى انتظر !

ـ نعم ·· بعد حفلة الزفاف انتظر ··

فسألها واللهفة لا تزال تملكه :

ـ انتظر ماذا ؟··

فقالت في هدوء ·· عجيب :

ـ انتظرنى الى أن أصبح مستعدة ·· للزواج ··

ـ وكم ظل ينتظر ؟··

ـ أوه ·· انه لا يزال ينتظر · طبعا · اننا إتفقنا ·· أعنى أننى قلت له انى سأكون مستعدة فى عيد ميلادى العشرين ··

ـ أى ·· غداً ··

ـ آه ··

ـ وهل أنت ·· أعنى ·· هل ستكونين مستعدة ؟

ـ هذا يتوقف ··

ـ عـــلام ؟

ـ على عودة الاثاث ··

ـ ان زوجك يبذل مجهودا أكثر من أى رجل أعرفه ·· وقد فهمت السبب الآن ··

وصمت ··

ثم نظر اليها ·· فوجد أنها تنظر اليه أيضا ·· فحولت نظرها عنه سريعا ··

وفجأة اندفعت الى داخل البيت ·· وبسرعة أغلقت الباب فى وجهه ·· وأوصدته من الداخل ·· وصاحت :

ـ الآن ٠٠ انتظر هنا ٠٠ انتظر ٠ ٠مكانك ٠٠

فابتسم سيلفا وقال بهدوء :

ـ نعم ٠٠ يا سيدتى ٠٠ سأنتظر ٠٠

*

وسارت بيبى دول فى بهو طويل معتم ، الى المطبخ ٠٠ وكان مطبخا كبيرا من النوع القديم ، كل ما فيه ضخم ، ثلاجة كبيرة ، وأحواض ضخمة وفرن كبير ٠٠ وفتحت الثلاجة وأخرجت منهـــا الليمون لتصنع عصير الليمون ٠٠ وعندئذ سمعت صوتا حادا ، فأنصتت باهتمام ٠٠ ولكن الصوت لم يتكرر ٠

وكانت حركاتها كلها ضعيفة واهنة ٠٠ وظلت تمسح يديها على فخذيها ٠٠ ثم بدأت تقطع الليمونة ٠٠ فانحرفت السكين وجرحت أصبعها ٠ فنظرت الى الاصبع وبدا لها فى أول الامر أنه لم يصب بشىء ٠ ثم ظهرت قطرة من الدم ٠ فارتجفت قليــــلا ٠٠ وازداد تفجر الدم فأخذت تبكى كالاطفال ٠٠

وعندئذ سمعت صوتا غريبا يشبه صوت اغلاق باب ، تبعه صوت ضحكة انسان ٠٠ فنظرت نحو باب المطبخ ، وأدارت رأسها لتسمع جيدا ٠٠ ولكن الصوت لم يتكرر ٠٠ وكانت لا تزال تضغط أصبعها حتى تمنع النزيف ٠ وبدأت تجوس خلال البيت للاطمئنان ، ولمعرفة مصدر الصوت الذى سمعته فمرت بغرفة ضخمة عارية يتدلى فى وسطها شمعدان كبير كساه الغبار بطبقة كثيفة ٠٠ كانت هذه هى غرفة الطعام عندما كان البيت ملكا لاصحاب المزرعة القدماء ٠

ومضت بيبى دول تلهث ، وتعصر اصبعها الدامى ٠٠ وكان الدم يسرى على يدها حتى الرسغ ثم ينحدر الى الذراع ٠٠ ولكنها ظلت تترنح فى سيرها نحو الدرج وأخذت تلهث وهى تنظـــر الى السلالم الطويلة التى ستصعدها ٠٠ وبدأت فى الصعود ٠٠

وفى منتصف الدرج سمعت مرة أخرى صوت اغلاق البـــاب والضحكة الساخرة الخافتة .فتوقفت فى مكانها ٠ : وأخذت تنصت باهتمام زائد ٠٠ ولكن الصوت لم يتكرر ٠٠ فاستمرت فى صعودها وذهبت الى غرفة الحمام وأخذت تضمد اصبعها الدامى ٠

وفى هذه الاثناء كان فاكارو قد عالج الباب بمطوة ، ونجح فى فتحه ٠٠ فأوصده خلفه بعنف وهو يضحك ضحكة ساخرة ٠٠ وسار نحو المطبخ حيث وجد بعض الطعام فى الثلاجة فأكل منه قليـــلا ٠ ورأى الليمونة المقطوعة وقطرات الدم فضحك ٠٠

وفرغت بيبى دول من تضميد اصـــبعها ، فذهبت الى غرفة نومها ٠٠ ووقفت أمام المرآة ٠٠ فهالها منظرها ٠ ٠ولاحظت وجـود أماكن مبتلة من ثوبها ٠٠ فأخذت تجففها فى كســـــل وتراخ ٠٠ ووصل الى سمعها الصوت والضحكة اللتين سمعتهما من قبـــل ، ولكنهما كانا فى هذه المرة أقرب ٠٠ فأنصتت لحظة ٠٠ ثم مضت وهى تتعثر وترتعد نحو باب الغرفة ، وحاولت اغلاقه بالمفتاح ٠ ولكن المفتاح انزلق من بين أصابعها الضعيفة المضطربة فانحنت على الارض والتقطت المفتاح وهى تئن ٠٠

وعثر فاكارو على زجاجة « جين » فملأ قدحا كبيرا ووضـــع عليه بعض مكعبات الثلج من الثلاجة ٠٠ وأخذ يشرب ٠٠ وهـو يضحك ٠٠ وسار نحو الدرج وبدأ يصعد فى ابتهاج ٠٠ وبدأ يسير فى غرف الطابق الاول ٠٠ فدخل غرفة الاطفال ٠ ٠وكانت غرفة لم تستخدم قط ٠٠ رأى فى جانب منها ارجوحة على شكل جواد خشبى ٠٠ ومهدا صغيرا ٠٠ وصورا معلقة على الجدران فجلس على الجواد ٠٠ وأخذ الجواد يتأرجح به ٠٠

وفتحت بيبى دول باب غرفة نومها عندما سمعت الصوت ٠٠ وأطلت برأسها نحو البهو ٠٠ وقالت :

ــ ارتشى لى ٠٠ أهذا هو أنت ؟٠٠

وتوقف فاكارو عن التأرجح ·· وأطلق من فمه صفيرا من النوع المعروف باسم « صفير الذئب » الذى يغازل به الفتية الفتيات فى ايطـــاليا ··

وعادت بيبى دول تسأل من جديد :

ـ من هناك ·· من هناك ؟

وسارت عبر البهو الى غرفة الاطفال ·· وفى تلك اللحظة كان فاكارو يتسلل الى الغرفة المجاورة ·· فوقفت بيبى دول مذعـــورة متوترة الاعصاب تصرخ :

ـ هادى ·· ما هذا ··؟

وتناهى الى سمعها ·· ضحك مكتوم ·· فبدأت بيبى دول تشك فى أن هذا هو زوجها · ولكن ·· من يكون هذا الذى يجوس فى البيت ، يصفق الابواب ، ويضحك ، ويتأرجح على الجـــواد ؟·· تراءى لها انه ربما يكون فاكارو هو الذى فعل هذا كله ·· ولكنها عادت تؤكد لنفسها القلقة المضطربة أنها أغلقت الباب بنفسها فى وجهه خارج البيت ·· ومع ذلك فانها هتفت فى يأس :

ـ يا سيد فاكارو ؟·· هل أنت فى تلك الحجرة ؟··

وسارت ، وهى ترتجف ، الى الغرفة المجاورة ·· وتسلل فاكارو من بابها الجانبى الى الغرفة التالية قبل دخولها بلحظات ·· وماكادت ترى الغرفة خالية حتى بدا عليها الرعب جليا ·· فقد تأكدت الآن أن فاكارو فى البيت ·· ولم يعد يشغل بالها كيف تمكن من الدخول ·· وانما سبب وجوده فيه ··

وصاحت :

ـ أين أنت ·· اخرج من بيتى ·· ليس لك حق فى دخوله ·· أين أنت ؟··

وسمعت باب البهو يغلق ·· وسمعت صوت المفتاح يدور فى قفل الباب ·· فأخذت تدق الباب بكلتا يديها ·· ثم أسرعت الى غرفة الاطفال ·· وهى تصرخ :

ـ يا مستر فاكارو ·· كفى مزاحا ··

ولكن فاكارو لم يجب ·· وانما سمعت صوت ضحكته الخافتة الساخرة منبعثا من البهو ·· فعادت تصيح :

ـ اننى أعرف أنك أنت ·· انك تثير أعصابى ·· يا مستر فاكارو ·· فاكارو ·· فاكارو ··

ومع كل صيحة كانت تتقدم خطوة ·· وفجأة برز أمامها سيلفا صارخا بصوت مفاجىء :

ـ آه ···

وفى هذه اللحظة انقلبت الفتاة الى طفلة من جديد ·· تحب اللعب وتحب المرح ·· فأخذت تبكى وتضحك فى آن واحد ·· وترتجف من الرعب ·· وتضحك من المفاجأة ·· وأخذت تضحك بعصبية ·· وعادت الى البهو ·· وبدأت تهبط الدرج ··

وقفز فاكارو قفزة طويلة ·· ووقف على الدرج أمام بيبى دون فاستدارت على الدرج وراحت تعدو وتعدو بسرعة الى الغرف المختلفة تدخل الى واحدة وتخرج منها لتدخل أخرى وتصفق الابواب وراءها وهى تضحك بعصبية ·· ويتابعها فاكارو ضاحكا ويعدو وراءها وقد بدأ يشعر بأنها تغلب عليها روح الاستسلام له ··

تبعها الى غرفة النوم ، فألقت عليه وسادة ·· فسقط على الارض بطريقة هزلية تمثيلية محتضنا الوسادة ، وصرخت هى ضاحكة جذلة ·· ثم وثب نحوها وألقى بدوره الوسادة عليها ·· وهمت بأن تعدو نحو الدرج ،ولكنه سد السبيل فى وجهها ·· فصرخت واتجهت نحو الطابق العلوى (وهو ليس طابقا بمعنى الكلمة ·· انه



.. وهمت بأن تعدو نحو الدرج ، ولكنه سد السبيل فى وجهها

مجرد مخزن فوق الطابق الاول ٠٠ مخزن مهجور لا يستخدمونه الآن ، وانما كان أصحاب المزرعة فى الماضى يستخدمونه ٠٠)

وتركها تصعد متظاهرا بأنه لم يستطع اللحاق بها ، ودخلت من الباب وأوصـــدته فى اللحظة التى كان فاكارو قد وصل فيها أمام الباب ٠٠

وتلاشت ضحكاتها العصبية عندما بدأ يدفع الباب ، فقد أدركت فجأة الصورة الحقيقية للموقف ، وعلمت أنهـــا وقعت فى فخ لا خلاص لها منه ٠٠

وأتاها صوت فاكارو من الخارج :

ـ افتح يا سمسم ٠٠

فأجابت من الداخل فى صوت خافت جاد :

ـ انتهت اللعبة ٠٠ اننى لا ألعب الآن ٠٠

فقال لها :

ـ لا ٠٠ هذا ليس عدلا ٠٠ ينبغى أن تستمرى فى اللعب الى أن تكسبى أو تخسرى ٠٠

ولكنها قالت فى هدوء :

ـ يا مستر فاكارو ٠٠ هل تتفضل بأن تنزل الآن حتى أتمكن من فتح الباب والخروج ٠٠ ان أرض المخزن ضعيفة ٠٠ ولا أريد أن أسقط منها ٠٠ انها تهتز تحت قدمى ٠٠ اننى لم أكن أعرف أنها كذلك ٠٠ فلم أصعد الى هنا قبل اليوم ٠٠

وكان فى صوتها الناعم شىء أثار فاكارو ٠٠ وسره ٠ فمال على الباب ووضع فمه عليه وهمس :

ـ اننى لا أحلم بتركك وحدك مهددة بالسقوط ٠٠ كما أنك لا تحلمين بأكل بندقة كسرها رجل بفمه ٠٠ ألا تدركين هذا ؟

وصاحت بيبى دول بفزع :

ـ يا مستر فاكارو ٠٠ يجب أن أخرج من هنا ٠٠ بسرعة ٠٠ إذهب ! اذهب ٠٠ انزل ٠٠ بسرعة ، من فضلك ٠٠

فأجاب :

ـ اننى أستطيع أن أسمع صوت السقف القديم وهو ينهـــار بسرعـــة ٠٠

فصاحت :

ـ وأنا أيضا ٠٠ ولكننى أقف عليه ٠

فقال ضاحكا :

ـ هل أدعو رجال المطافىء الى هنا ومعهم شبكة لالتقـــاطك عندما تسقطين ؟

الا أنها حسبت انه لم يكن يمزح ٠٠ فقالت :

ـ لا ٠٠ ان الوقت لن يكفى ٠٠ لا ٠٠ اذهب أنت ٠٠ فأستطيع أن أفتح الباب ٠٠

فمضى يقول :

ـ لا ٠٠ أعتقد فعلا انهم لن يصلوا فى الوقت المناسب ٠٠ حتى إذا أتوا فان الشبكة لن تكون فى حالة جيدة ، مثلها فى ذلك مثل خراطيم الحريق فى الليلة المـــاضية عندما أتوا لاخماد النار التى إلتهمت محلجى ٠٠

وفجأة سقطت قطعة من الخشب من تحت قدميها ٠٠فأسرعت إلى مكان آخر ٠٠ وكان المكان الجديد لا يقل عن المكان الســـابق هزالا ٠٠ فصرخت ٠٠ الا أنه كان لا يزال مستمرا فى مزاحه :

ـ هل هاجمك شبح ٠٠ هناك ؟

ولكنها كانت فى حالة ذعر شديد :

ـ من فضلك ·· اذهب ··

فســـألها :

ـ لمـــاذا ··؟

ـ اننى ·· لا أستطيع ·· لأن ··

وسكتت ·· فأخذ يستحثها على أن تكمل جملتها ·· فهمست :

ـ بسببك ·· انت ··

ورفع الباب قليلا بكتفه ·· فانفتح ·· واستمرت فى همسها :

ـ انك تخيفنى ·· جدا ··

فسألها بدهشة :

ـ تخافين ·· منى ؟··

ـ نعم ·· اننى أخاف منك ·· أخاف أن تضربنى ··

ـ اذن ، فانك تخشين أن أضربك ؟·· أتظنين حقـــا اننى سأضربك ؟ هه ·· أتخافين لاننى قد أضربك تاركا علامات حمراء على بدنك ·· على جلدك الابيض الحريرى الناعم ؟·· أهـــذا هو ما تخشينه يا مسز ميجان ؟··

فدمدمت ·· وهزت رأسها علامة الموافقة ·· فسألها :

ـ أتريدين أن أذهب ؟

فهزت رأسها مرة أخرى ·· وقال :

ـ حسن جدا ·· سأقول لك ماذا سأفعل ·· سأقدم لك قلما وورقة ، وكل ما أريده منك هو أن توقعى على الورقة ··

ـ أية ورقة ؟··

ـ أعتقد أنها ما يمكن أن يسمى شهادة ·· تقرر رسميا أنه ارتشى لى اشعل النار فى محلج القطن التعاونى · أتوافقين ؟··

ـ يا مستر فاكارو ·· ان هذا السقف كله موشك على الانهيار تحت قدمى ··

ـ ماذا قلت ··؟

ـ هات الورقة ·· وسأوقعها لك ·· اتركنى الآن ··

ـ مسز ميجان ·· اننى صقلى ·· وشعب صقلية شعب قديم ·· والشعوب القديمة تميل بطبيعتها الى الشك ·· اننى أريد أن توقعى هذه الورقة ·· الآن ·· أتسمعين ؟

ولكنها لم تجب ·· فتقدم نحوها خطوة ·· فأسرعت مذعورة الى الوراء ·· وعدت خطوات الى أبعد ركن فى المخزن ·· وما كادت تخطو بضع خطوات حتى انهار السقف فعلا ·· وتناثرت قطع الطلاء فى كل مكان ، وارتفعت سحب الغبار من السقف المنهار ··

وراح فاكارو يتطلع باهتمام شديد الى المكان الذى سارت بيبى دول نحوه قبل سقوط السقف ، ورآها تقف فى الركن مستندة الى عمود خشبى ··

وفى هدوء تام أشعل فاكارو سيجارة وأخذ يدخن ·· ثم قال :

ـ والآن ·· اما أن توقعى على هذه الورقة ، واما أن أحضر اليك ·· وأنت تعرفين أن اضافة ثقلى الى ثقلك سيجعل السقف بأسره ينهار ··

فصـــاحت :

ـ أوه ·· ماذا أفعل ؟

فقـــال :

ـ افعلى ما أقوله لك ··

ووضع قدمه على بعد قليل من مكانه عند البـــاب ·· فسقطت قطعة صغيرة ·· فضم شفتيه مظهرا اشفاقه على حالتها ، ومد يده

وتناول لوحا طويلا من الخشب وضع على طرفه قلما وورقة ٠٠ ثم مد قدمه مرة أخرى ٠٠ وانهارت قطعة أخـــرى أكبر من الاولى ٠٠ فصرخت بيبى دول :

ــ حسن ٠٠ حسن ٠٠ أسرع ٠٠ أسرع ٠٠

فسألها :

ــ أسرع بماذا ؟

فقـــالت :

ــ سأفعل ما تشاء ٠٠ وانما أسرع ٠٠

فقدم لها اللوح ٠٠ ومدت يدها واختطفت القلم ووقعت اسمها بسرعة على الورقة وأعادتها الى اللوح ووضعتها على المسمار الموجود فى نهاية اللوح ٠٠ وجذبه فاكارو ونظر الى توقيعها ٠٠ ثم استلقى الى الوراء وهو يضحك ضحكا شديداً ٠٠ ثم قال :

ــ شكرا ٠٠ يمكنك أن تأتى الآن ٠٠

ولكنها أجابت :

ــ لا ٠٠ لن أغادر هذا الركن إلا بعد أن أسمعك تنزل الدرج ٠٠

فابتسم ٠٠ وبدأ يهبط الدرج ٠٠ ثم قال :

ــ أتسمعيننى ؟ ٠٠ أتسمعين وقع خطواتى على الدرج ٠٠

وأطلقت بيبى دول صيحة صغيرة ٠٠ ووقفت فى أعلى الدرج تطل على فاكارو ٠٠ الذى تطلع اليها وابتسم وهز رأسه وهو يتأهب للانصراف ٠٠ قائلا :

ــ أنت الآن حرة ٠٠ وأنا أيضا ٠٠ وداعا ٠٠

فصاحت :

ــ الى أين تذهب ٠٠

فقال : سأعود الى السيارة العتيقة فى الحديقة لأنام قليلا ٠٠

فهتفت :

ــ انتظر من فضلك ٠٠ اننى أريد ٠٠

وأخذت تهبط الدرج بسرعة ، وشعرها متناثر مهوش يعلوه الغبار وقطع الطلاء ٠٠ ووقفت فى منتصف الدرج واختلست نظرة اليه ٠٠ وقالت :

ـ اننى أريد ٠٠٠

ولكنها لم تستطع أن تتذكر ما الذى تريده ٠٠ وانتظر هو فى قلق ، رافعا رأسه نحوها ، أن تتم جملتها ٠٠ ولكنها لم تفعل ٠٠ وبدلا من ذلك أخذت تتأمله من رأسه الى قدميه ، ورموشها تتذبذب بسرعة كما لو كانت لا تستطيع أن تستوعب الصورة التى تراها٠٠

وهز رأسه ٠٠ كأنه يوافق على شىء قالته ٠٠ ثم يضـــحك ويستدير ويبدأ فى الخروج ٠٠

ولكنها تصيح وتناديه قائلة :

ـ أهذا هو كل ما كنت تريده ٠٠؟

فعاد ٠٠ ونظر اليها ٠٠ فمضت قائلة :

ـ أكل ما كنت تريده هو أن أعترف بأن ارتشى لى أشعل النار فى محلجك ؟

وســـألها :

ـ ماذا كنت تتصورين اذن ؟

فحولت وجهها كطفل خجول ٠٠ ثم ظهر الجد على وجهها ، وجلست عند أسفل الدرج ٠٠ ودفنت رأسها بين راحتيها ٠٠

وفى صوت يفيض بالرقة قال :

ـ انك طفلة يا مسز ميجان ٠٠ ولهذا لعبنا معا ٠٠ لعبـــة الاطفـــال ٠٠

فرفعت اليه عينيها وقالت :

ـ ليس هنـــاك داع لان تذهب لتنام هنـــاك ٠٠ يمكنك أن تنام هنا ٠٠

وبدون أن تظهر عليه أية دهشة لتغير سلوكها ٠٠ سألها :

ـ ولكن ليس بالبيت أثاث ؟٠٠

فأجابت بسرعة :

ـ فى غرفة الاطفال أثاث ٠٠ هناك فراش صغير ٠٠ مهد طفل ٠٠ يمكنك أن تثنى ساقيك وأن تنام فيه بعد رفع الحاجز الجانبى ٠٠

ونظر اليها طويلا ٠٠ ونظرت اليه ٠٠ ولبثا لحظات صامتين ٠٠ كطفلين خجولين يبدآن صداقتهما ٠٠ وظل ينظر اليها ٠٠ وتخفض هى نظرها ٠٠ وتعبث بقدميها فى الارض ٠٠ وفجأة يهز رأسه هزة سريعة قصيرة ٠٠ ويقول ببساطة :

ـ يسرنى أن أقبل الدعوة ٠٠

ويبدأ فى صعود الدرج ٠٠ ثم يلتفت اليها ويقول :

ـ تعالى ٠٠ لتغنى لى حتى أنام ٠٠

ويستمر فى الصعود ، وتبقى بيبى دول على الدرج وحيدة حائرة ٠٠ ثم تقول لنفسها :

ـ ان أبى سيتحرك فى قبره ٠٠

الفصل العاشر

وصلت سيارة ارتشى لى أمام المحلج بعد أن انقضت عدة ساعات على ذهابه ٠٠ وما كاد يوقف السيارة ويرى العمل فى المحلج سائرا حتى أخذته الدهشة ٠٠ كيف دارت الآلات مرة أخـــرى ، وبدون إذنه ؟٠٠ وكيف تمكنوا من اصلاحها ؟٠٠

وسار الى المحلج ، وقابل روك ، فقال :

ـ هاهاها ٠٠ يبدو أن العمل يدور من جديد ٠٠

فنظر اليه روك نظرة خاطفة ٠٠ وقال بلا مبالاة :

ـ أليس كذلك ؟٠٠

فتساءل ارتشى لى :

ـ لا بد أنكم قمتم باصلاحها بسرعة ٠٠

فقال روك فى برود :

ـ لم نصلح شيئا ٠٠ لقد وضعنا قطعة جديدة ٠٠

ـ من أين ٠٠ كيف حصلتم عليها ؟٠٠ لقد بحثت فى كل متجر ولا توجد لدى تاجر قطعة جديدة قبل يوم الازبعاء ٠٠

ـ كانت لدى السيد فاكارو واحدة ٠٠ فركبناها هنـــا ٠٠

ـ أليس هذا أمرا غريبا ؟ كيف اذن لم أعلم بهذا قبل أن أقوم بالمطاردة الشاقة التى كادت تقتلنى ؟ أين هـــذا الاجنبى الملعون فاكارو ؟٠٠ أريد أن يفسر لى هذا الامر ؟٠٠

وفى هذه اللحظة دوت صفارة المحلج معلنة انتهـــاء اليوم ٠٠ وتوقفت الآلات عن الدوران وبدأ العمال يتجمعون فى صف طويل لاخذ أجورهم ٠٠

وعندما رأى ارتشى لى العمال يستعدون لاستلام أجورهم بدأ يظهر عليه قلق مفاجىء ·· فالتفت اليه روك وأفهمـــه أن فاكارو سيدفع للعمال حسابهم ··

وتراجع ارتشى لى من المحلج وقد بدأت خواطر غامضة تتجمع فى ذهنه ·· وما كاد يسير بضع خطوات حتى سمع ضحكات كان من الواضح أنها موجهة اليه ·· فيتصلب ظهره ، ويشعر بأن شيئا قد حدث ··

ويمضى والشك والغضب يملآن نفسه ، ويسمع الضحكات مرة أخرى ·· فيسب ويلعن ويسير نحو البيت ·· وهناك يجد الهدوء الشامل ·· فيخطو فى الداخل ·· ويرى قميص فاكارو ملقى على الارض فيلتقطه وينظر اليه لحظات ·· ثم يرفع رأسه ·· ويهتف :

ـ هاى ·· هل هنا أحد ·· ألا يزال يحيا فى هذا البيت أحد ؟

وسمعت بيبى دول الصيحة · فانزعجت ·· وكانت تجلس على الارض الى جوار المهد الذى ينام عليه فاكارو فسارت على يديهـــا ورجليها نحو النافذة ·· وهمست لفاكارو :

ـ انه ارتشى لى ··

ولكن فاكارو يدمدم بكلمات غير مفهومة يقصد منها ألا يزعجه أحد لانه يريد أن ينام ··

وترتفع من أسفل الدرج صيحة عالية ، كما لو كانت ألما ··

رأى ارتشى لى السقف المنهار ·· ووقف يتأمله فى دهشة بالغة · وعندئذ ظهرت بيبى دول مرتدية روب دى شامبر من الحرير ·· فصاح ارتشى لى :

ـ ماذا حدث هنا ؟··

فلم تجب ·· وانما حدقت فيه بشىء من الاستهتار ·· فكرر سؤاله عليها ، فقالت :

ـ أتعنى هذه الانقاض ؟ لقد انهار السقف ٠٠

ـ كيف ٠٠٠ كيف حدث ذلك ؟

ـ وكيف يحدث أى شيء ؟٠٠ لقد حدث ٠٠ هذا كل شيء ٠٠

وسارت فى هدوء وتراخ ٠ ٠وتجنبت النظر اليه ٠٠ فتبعها وهو يتأملها كما لو كان لم يرها منذ سنوات ٠

وسمعت العمة روز صياحهما فخرجت من باب المطبخ وأنبأتهما بأن الطعام سيكون معدا للعشاء بعد لحظات ٠٠ وعادت الى المطبخ فى سرعة ، وفى ارتباكها سقطت بعض الصحون وتهشمت ٠٠ فقال ارتشى لى ، وهو يتلمس سببا للعراك مع بيبى دول :

ـ ان الاشياء المحطمة فى المطبخ وحدها كفيلة بخراب رجل ثرى ٠٠ اصعدى الان وارتدى ثيابا لائقة ثم تعالى ٠٠ أتعرفين أنهم افتتحوا مكتبا جديدا فى واشنطن اسمه مكتب « ن٠ ب٠ ف » ؟ أتعرفين ما معنى « ن٠ ب٠ ف » ؟٠٠ ان معناها « نساء بلا فائدة » ٠٠ انهم يعدون مشروعا لجمع هؤلاء النساء جميعا واعدامهن ٠٠ هاهاها

فسألته :

ـ وماذا سيفعلون بالرجال المخربين ؟٠٠ ألا توجد هناك مشروعات لجمع الرجال الذين توجد لديهم أرواح شريرة مدمرة لاعدامهم ؟٠٠

ـ عن أى الرجال تتحدثين ٠٠

ـ عن الرجال الذين يدمرون الاشياء ويحرقونها لانهم شريرون أغبياء لا يستطيعون أن يعيشوا بغير ذلك ٠٠ لان المنافسة الحرة أكبر منهم ٠٠ ولذلك يتحولون الى مجرمين ٠٠ فيقومون باتلاف ممتلكات الغير عمدا ٠٠

وخرجت من باب البيت وأخذت نسمات باردة تهب من وجهها وتعبث بشعرها ٠٠ فوقفت تستنشق هوآء الليل ٠٠ وسار ارتشى لى وراءها وأمسكها من كتفيها العاريين وسألها :

ـ من قال هذا الكلام ؟ من أين جئت به ؟

ـ يبدو انك تعتقد أحيانا اننى محدودة الذكاء ·· لقد ذهبت الى المدرسة يوما ·· كما اننى أطالع المجلات ··

وهزت كتفيها ·· ثم أضافت :

ـ سيكون باب السجن مفتوحا فى انتظارك اذا ظهرت الحقيقة··

فصـــاح :

ـ أتهددينني ؟··

ولكنها لم تجب ·· وانما سارت بضع خطوات فى الحديقـــة لا تنظر اليه وكأنها لا تكترث به ·· ومضى هو ينظر اليها ذاهلا غير مصدق ·· وفجأة قالت :

ـ ان شخصا يدير الطلمبة ·· هناك ··

وسارت ·· وتبعها ·· ورأت على ضوء القمـــر فاكارو يدير الطلمبة بنشاط وقوة ·· واقبال الرجل المبتهج المستمتع · واقتربت منه ، وقالت بلا كلفة :

ـ هاى سيلفا ·· هاها ··

وكاد ارتشى لى يسقط من فرط جزعه وذهوله ·· وتوقف عن السير ، وتساءل وكأنه يحدث نفسه :

ـ هو ؟ ألا يزال فى هذا المكان ؟

وقالت بيبى دول بدلال :

ـ اعطنى قليلا من الماء البارد العذب ·· من فضلك يا مستر فاكارو ·· أتعرف أنك أول شخص استطاع أن يديرها ؟

وتقدم ارتشى لى منه وصاح بغلظة :

ـ ألا تزال هنا ؟··

ولم يجب فاكارو ·· لان بيبى دول أسرعت تقول :

ـ ارتشى لى ٠٠ ان المستر فاكارو يقول انه قد لا يبنى محلجا جديدا ٠٠ وانما سيجعلك تحلج له أقطانه دائما ٠٠ ألست مسرورا٠٠ الآن ٠٠؟ انه يعتزم أن يأتى غدا مع كميات أخرى من القطن ٠٠ يأتى بسبع وعشرين مركبة محملة أخرى ٠٠ وبينمـــا تقوم أنت بحلجها له ، سأقوم أنا بالترفيه ، واصنع له عصير الليمـــون ٠٠ وسيستمر هذا يوما بعد يوم ٠٠ ربما الى الخريف القادم ٠

وقال فاكارو دون أن يرفع رأسه ودون أن يلتفت اليه :

ـ تنفيذ سياسة حسن الجوار ٠٠

ثم أخذ يسكب الماء على رأسه حتى شعر بالانتعاش ٠٠ فنفض الماء عن بدنه ٠٠ وشرب قليلا من الماء وقال :

ـ اننى أحب مياه الآبار ٠٠ ان طعمها بديع لا يشبه طعم أى ماء آخر ٠٠ أتريدين أن تشربى قليلا منها يا مسز ميجان ؟٠

فقالت له على الفور ٠٠ برقة وعذوبة :

ـ نعم ٠٠ أشكرك جدا ٠٠ اننى أحب جدا أن أشرب منها ٠٠

فقال فاكارو فى صوت خافت ٠٠ حالم :

ـ لقد بدأت الليالى الباردة ٠٠ ذات الهواء الندى ٠٠

وكان ارتشى لى يراقب هذا الحوار بين فاكارو وزوجته باندهاش وظل ينقل بصره بينهما وقد أذهلته الطريقة التى كانا يتكلمان بها بلا كلفة وبلا تحفظ ٠٠ فصاح فجأة :

ـ منذ متى أنت هنا ؟

فنظر فاكارو الى الفتاة نظرة والهة ساهمة وقال :

ـ طول بعد الظهر ٠٠ لقد تطفلت على كرمكم ٠٠ أتريد قليلا من هذا الماء ٠٠

وأشار ارتشى لى بيده اشارة عنيفة دلالة على الرفض ٠٠ وقال :

ـ أين كنت ٠٠ هنا ؟

فقال فاكارو فى هدوء :

ـ نمت قليلا فى الفراش الوحيد الباقى هنا ٠٠ المهد الموجود فى غرفة الاطفال، وبعد انزال جوانبه٠ وكان الحريق فى الليلة الماضية قد حرمنى من النوم الى درجة أنه كان فى مقدورى اليوم أن أنام على أى فراش دون أن أشعر بأنه غير مريح ٠٠ على اننى مع ذلك شعرت بالحزن ٠٠

فسأله ارتشى لى :

ـ الحزن ٠٠ علام ؟

فقـــال :

ـ لوجود غرفة أطفال خالية من الاطفال ٠٠ ولان الغـــرف الاخرى كلها خالية من الاثاث ٠٠

ـ ليست هذه مشكلتك ٠٠

ـ ان سياسة حسن الجوار تجعل مشـــكلاتك مشكلاتى ٠٠ والعكس بالعكس ٠

وفى هذه اللحظة ارتفع صوت العمة روز حادا رفيعا :

ـ العشاء ٠٠ جاهز ٠٠ أيها الاطفال ٠٠

وصمت الثلاثة ٠٠ وكان السكون المخيم عليهم قرب الطلمبـــة رهيبا ٠٠ وكانت بيبى دول بابتسامتها البطيئة الجديدة أول من قطع هذا الصمت :

ـ ألم تسمعا الدعوة الى العشاء ؟

فالتفت ارتشى لى الى فاكارو وسأله :

ـ أتتعشى هنا الليلة ؟

فقال فاكارو :

ـ لقد دعتنى المسز ميجان الى البقاء لتناول العشاء ، ولكننى قلت لها انه من المستحسن أن أسمع الدعوة من رب البيت قبل أن أقرر قبولها ·· فما قولك ؟

ولم يجب آرتشى لى على الفور ·· بل صمت لحظات ثم قال بصعوبة شديدة :

ـ ابق ·· للعشاء ··

وتحركت بيبى دول نحو المنزل وهى تبتسم ابتسامة غريبة غامضة وقالت :

ـ من الافضل أن أرتدى ثيابى ··

وتابعها ارتشى لى بنظراته الشرهة الى أن اختفت ·· ثم قال فجأة :

ـ فهمت انك لن تنشىء محلجا جديدا ·· وانك ستكل الى حلج أقطانك ؟

فأجابه فاكارو :

ـ اذا كان هذا يناسبك ··

وحول ارتشى نظراته من ظهر امرأته الى وجه فاكارو ، وقال :

ـ انتى لا أعلم بعد ·· ينبغى أن أفكر فى الامر ·· فهو يتطلب أموالا ·· ومعدات جديدة ·· هيا بنا الآن ، للعشاء · اننى أشعر بألم فى المعدة ··

وسارا الى المطبخ ، ثم الى غرفة الطعام ·· ووضح أن ارتشى لى قد صدم صدمة مفاجئة ·· انه لم يستطع أن يدرك حقيقة الموقف ولكنه على كل حال لا يرتاح الى هذا التطور ·· والذى يقلقه هو التصرف الذى ينبغى عليه أن يتخذه ·· الا أنه أحس بأنه من الافضل أن يتمالك أعصابه ، وأن يركن الى الهدوء الى أن ينجلى

الضباب الذى يخيم على روحه ·· ولكن غريزته تصرخ فى أعماقه منادية بوجوب تسوية الامر بالقتل ··

القتل ؟·· انه الحل الوحيد ·· ولكن ·· كيف ؟ هداه عقله الى وجوب التذرع بالحذر ·· وتغطية ما يدور فى ذهنه بافتعـــال مشاجرة مع العمة روز ، وصب جام غضبه على المسكينة لان العشاء الذى أعدته لم يعجبه ·· وحاولت العمة أن تعتذر بأنهـــا نسيت اشعال الموقد قبل أن تخرج من البيت ··

وما كاد ارتشى يعلم انها أيضا كانت خارج البيت حتى برقت فى رأسه فجأة الحقيقة ·· ان فاكارو وبيبى دول كانا وحدهما معا طول اليوم ·· فلم يستطع صبرا ، ونهض عن مائدة العشاء مسرعا الى التليفون ·· وانتهزت بيبى دول فرصة خروجه من غرفة الطعام وحذرت فاكارو من البقاء خشية أن ينانه آرتشى لى بمكروه ·· وأحس فاكارو بتطور شعورها نحوه ، وأحس بالامتنان لانها تهتم بحياته وتبدى ميلها اليه أكثر من ميلها الى زوجها ··

ولكنه بقى ·· فدنت منه حتى أصبحت بين ذراعيه ، وتعانقا ·· أطفأت النور ، وبقيا متعانقين فى حلم ·· وعندما انتهى آرتشى لى من حديثه التليفونى ، أضاءت النور ·، وعاد ارتشى لى ليثور مرة أخرى على العمة روز ، وأبدى استياءه من وجودها فى بيته وطلب اليها فى عبارات جافة قاسية أن تجد لها مكانا آخر تقيم فيه لان ضيافتها لديه طالت أكثر مما يلزم ·

وكانت قسوته عليها أكثر مما تحتمله المسكينة ، فانخرطت فى البكاء بعد أن جرح ارتشى لى كبرياءها جرحا أليما أمام شخص غريب عن البيت ، وذهبت العمة روز لتعد حقائبها لكى تغادر البيت الذى لم يعد صاحبه يطيق بقاءها فيه ، وعرض عليها فاكارو ـ عندما علم انه ليس لديها مكان تذهب اليه ـ أن تعيش معه لكى تطهى طعامه. وسرت العمة روز لهذا الحل الذى رد لها اعتبارها ·· وخرجت من غرفة الطعام وهى تغنى نشيدا دينيا ··

ونظر ارتشى لى نظرة غاضبة الى فاكارو وسأله بغيظ :

ـ ألا ترى هنا شيئا آخر تريد أن تأخذه معك يا فاكارو ؟

فأدار فاكارو نظره فى هدوء فيما حوله كأنه يفكر فى الموضوع تفكيرا جديا ، وضحكت بيبى دول ضحكة انثوية رقيقة ٠٠ فصاح ارتشى :

ـ حسن ٠٠ هل هناك شىء ؟٠٠ ألا يوجد هنا شىء آخر تريد أن تأخذه معك ؟

واستمرت بيبى دول فى استفزاز ارتشى ٠٠ فنهضت من مكانها وقالت وهى تبتسم ابتسامة ذات معنى :

ـ نعـــم ٠٠ يا آرتشى لى ٠٠ لقـــد لاحظ المستر فاكارو أن البيت مكتظ بالاثاث ٠٠ ولذلك فانه يريد أن يقترض منك بعض الاثاث الزائد ٠٠

ـ اخرسى ٠٠ سأحاسبك أنت حسابا آخر فيما بعد ٠٠

ولكنها لم تكترث بتهديده واستمرت فى ابتسامتها وسخريتها :

ـ اذا وصلت الى على الاطـــــلاق فمن المؤكد أن ذلك سيكون متأخرا ٠٠ هاها ٠٠ فيما بعد ٠٠ هاها ٠٠

وسارت بيبى دول نحو حوض المطبخ وأخذت تصلح زينتها فى المرآة المثبتة فوق الحوض ٠٠ وكانت تراقب الرجلين فى المرآة فى الوقت نفسه ٠٠ وقد بدأ الارتياح على وجهها ٠٠ فتغنى بصوت خافت ٠٠ بينما وقف ارتشى أمام المائدة وهو يتنفس بصوت مرتفع كثور هائج ، وظل ينقل بصره من أحدهما الى الآخر ٠

ومد فاكارو يده فى هدوء والتقط سكينا قطع بها قطعة كبيرة من رغيف الخبز ٠٠ ووضع السكين بعيدا عن متناول ارتشى ، ثم غمس قطعة الخبز فى اناء الخضر وراح يأكل فى نهم وتلذذ وأخذ ارتشى يحتسى من الزجاجة جرعة تلو جرعة ٠٠

ومن باب المطبخ الذى كان لا يزال مفتوحا دخلت دجاجة عجوز تلتقط شيئا من الارض فصاح فيها ارتشى بعنف ·· وألقى عليهـا الزجاجة الفارغة ·· فطارت الى الخارج ·· وضحكت بيبى دول ·· فانفجر ارتشى ، وقد أدرك أن زمام الموقف قد أفلت من يده :

ـ الآن ·· استمعا جيدا لما أقوله ·· كفى هذه النظرات التى تتبادلانها ·· واستمعا الى ·· انكما تحسبان اننى أصم ·· أبكم أو أعمى ·· أليس كذلك ؟

ولكنكما على خطأ ·· أوه ·· انكما مخطئان جدا ·· جدا ·· أوه ·· اننى أعرف ·· أعتقد اننى أبدو لكما مثل ·· أعتقد اننى أبدو لكما مثل ··

وظل يزفر ·· وعاد خطـــــوة الى الوراء ·· وأمسك الكرسى بقبضتيه ·· فسألته بيبى دول فى براءة :

ـ مثل ماذا تعتقد انك تبدو يا ارتشى لى ؟·· انك كنت عـلى وشك أن تقول ·· ثم سكت ··

فنظر اليها ·· وصاح :

ـ آه ·· بيبى دول فتاة صغيرة بريئة ليست مستعدة للزواج بعد ·· لا ·· ليست مستعدة بعد ·· ولكنها مستعدة جيدا ·· أوه ·· اننى أرى كيف ان هذا الموقف يبدو مضحكا ·· نعم ·· انه مضحك جدا ·· مضحك للجحيم ·· ولكن هناك شيئا صغيرا ·· بسيطا ·· نسيتماه ·· فاتكما ان لى مركزا ·· هنا فى هـــذه المقاطعة ·· حيث ولدت وتربيت · لى مركز محترم ·· مدى الحياة ·· عضو فى المجتمع ·· يوجد الى جانبى أصدقاء ، وزملاء ·· أتدركان ما أعنى ؟ انك لا تتمتع بهذه الميزات يا سيد ·· أليس كذلك ؟··

وظل فاكارو هادئا ينظر الى ارتشى مبتسما ‥ ثم قال :

ـ ميجان ‥ اننى لست طبيبا ‥ ولكنى عملت كمساعد طبيب فى البحرية ‥ وأستطيع أن أقول لك انك لست فى تمام الصحة ‥ ووجهك يبدو شديد الاحمرار ‥

وقاطعه ارتشى صائحا :

ـ ان كل ما يلزمنى هو أن أذهب الى التليفون فى البهو ‥ بل اننى لا أحتاج الى أن أتحدث الى أحد فى التليفون ، فى مقدورى أن أعالج هذا الموقف بنفسى ‥ والقانون يحمينى ‥

فسأله فاكارو فى هدوء :

ـ أى موقف تعنى ‥ يا ميجان ؟

فأجاب ميجان محتدا :

ـ الموقف الذى عدت لاجده تحت سقف بيتى ‥ اننى لست مغفلا ‥ ولم يفتنى ادراكه ‥ لا ‥ لقد أدركته وفهمته فى اللحظة التى رأيت انك لا تزال فى هذا المكان معها ‥ وتلك الابتسامة الخبيثة على شفتيها ‥

وعندئذ نهض فاكارو ‥ وقال :

ـ أنت تعرف وأنا أعرف ‥ انك أشعلت النار فى محلجى فى الليلة الماضية ‥ وفى جيبى شهادة موقع عليها شاهد ‥ تدل على انك فعلت ذلك ‥ وهذه الوثيقة هى كل ما أتيت الى هنا من أجله‥ وهى كل ما حصلت عليه ‥ ومهما كانت شكوكك فانك على خطأ‥ أليس كذلك يا مسز ميجان ؟ أليس زوجك مخطئا فى شكه فى اننى نلت أى شىء من هذا المكان غير هذه الوثيقة التى جئت من أجلها ؟

ونظرت بيبى دول اليه فى غضب ‥ مجروحة متألمة ‥ ولكنه مضى قائلا :

ـ نعم ٠٠ اننى أجنبى ٠٠ ولكننى لست هنا لانتقم منـــــك يا ميجان ٠٠ واعتقد أن بيننا سياسة طيبة لحسن الجوار ٠٠ اننى أعتقد على أية حال انها تستحق التجربة ٠٠ أما فيما يتعلق بالجانب الآخر من الموقف ، ولا حاجة بى الى ذكره ٠٠ فكل ما أستطيع أن أقوله هو انه يوجد فعلا شىء من الجاذبية ٠٠ وهى متبادلة على ما أعتقد ٠٠ ولكن لم يحدث شىء فى عجلة ، لقد كنت بعد سهرة أمس فى حالة اجهاد ٠٠ فنمت قليلا فى غرفة الاطفال فى المهد ٠٠ وأستطيع أن أذكر اننى نمت على صوت شخص يغنى أنشودة للنـــوم ٠٠ بصوت جميل عذب ٠٠ وشعرت بلمسات أصابع باردة ٠٠ هـــذا هو كل شىء ٠٠

فقال ارتشى :

ـ أتعتقد اننى أصدق هذا ٠٠؟

فســألـه :

ـ انك سرت شوطا طويلا جدا وتعرضت لاخطار كثيرة لكى أعود الى حلج أقطانى عندك ٠٠ ألست تريدها الآن ؟ ان هـــذا فى يدك ٠٠ يا ميجان ٠٠

فقال ارتشى فى غضب :

ـ انك سويت موقفك وانتهى الامر ٠٠ أليس كذلك ؟٠٠ بهذه الكلمات الجذابة المعسولة ٠٠ اننى سأذهب لعمل حـديث تليفونى الآن سيمحو هذه الابتسامة عن وجهك الاجنبى الكئيب ٠٠

وانطلق خارجا من الغرفة كالسهم ٠٠ فدنا فاكارو من بيبىدول وســألها :

ـ أحقا ان وجهى كئيب ٠٠ يا مسز ميجان ؟

فأغمضت بيبى دول عينيها ، وقالت له فى توسل وهو يعانقها :

ـ يستحسن أن تذهب ..

فقال لها :

ـ انى أنتظر لآخذك أنت والعمة روز .. معى ..

فقالت وكأنها فى حلم :

ـ نعم .. اننى سأذهب أيضا .. سأذهب الى فندق كوتون كينج .. ويستحسن أن أصعد الآن لمساعدة العمة روز على جمع حقائبها ..

وخلصت نفسها ـ رغم ارادتها ـ من بين ذراعيه .. وخرجت من الغرفة .. وسار فاكارو فى هدوء مبتسما حتى خرج من باب المطبخ الى الحديقة .. ومضى فى طريقه فى الحديقة بين أكوام القمامة والاقذار المتناثرة .. حتى بلغ الفناء الامامى ، ومد يده الى غصن منخفض من أغصان الشجرة الكبيرة ، وتعلق بالشجرة فى خفة ، وأخذ بندقة كسرها بأسنانه ..

وفى هذه اللحظة خرج ارتشى وفى يده زجاجة .. وفى الاخرى بندقية وسار يترنح ويصيح :

ـ هاى .. أين تختبىء ؟.. أين أنت ؟.. أيها الاجنبى اللعين :

وظل فاكارو جالسا فوق الشجرة ..

وأسرعت بيبى دول الى التليفون .. وطلبت مركز البوليس ..

ـ اننى أريد أن أتحدث الى رئيس البوليس .. نعم الرئيس من فضلك ..

« أنا بيبى دول ماكوركل ، مسز ميجان سابقا .. بيتنا فى طريق « تيجر تيل » .. أود أن أبلغك أن زوجى يحمل بندقيـــة ويهدد حياتنا جميعا .. اسرعوا ..

وخرجت من المنزل تعـــدو الى الحديقـــة .. وكان ارتشى قد أصبح جد سكران .. يسير بلا وعى .. وما كادت بيبى دول

تقترب من الشجرة الكبيرة حتى وثب فاكارو من الشجرة الى الارض فجأة وأرسل صفيرا خافتا ·· فأسرعت اليه وقالت فى ذعر شديد :

ـ انتبه ·· ان معه بندقية ·· انه مجنون ·· لقد دعوت رجال البوليس ··

وتسلق فاكارو الشجرة مرة أخرى ، وقال لها :

ـ اعطنى يدك بسرعة ·· تعالى هنا ·· هيا يا بيبى دول ·

ورفعها معه الى الشجرة ·· بينما كان ارتشى كالثور الهائج يهيم فى الحديقة بلا وعى ·· وبغير هدى ·· ورأى ظله على الجدار، فصاح فيه صيحة عالية ·· ثم أخذ يبكى وهو يهتف :

ـ بيبى ·· بيبى دول ·· طفلتى العزيزة ··

وظل يترنح متجها الى الفناء الخلفى ·· بينما استقرت بيبى‌دول بين ذراعى فاكارو ··

وأخذ ارتشى يطلق النار كيفما اتفق ·· فأطلق رصاصة عــلى باب المطبخ ، وأخرى على الدجاجة ، وثالثة على هيكل السيارة المهمل المتروك فى الحديقة ··

وكانت بيبى دول متوترة الاعصاب ··

وأصغيا معا الى صوت نفير سيارة البــــوليس وهى تدنو من الطريق ··

وتململت بيبى دول قليلا بين ذراعى فاكارو ·· ثم قالت :

ـ اننى أشعر بالاسف من أجل العمة روز المسكينة ·· انهــا لا تدرى الى أين تذهب ·· ولا ماذا تفعل ··

فقال لها فى رقة :

ـ وهل يعرف أى واحد الى أين يذهب ، أو ماذا يعمل ؟

وعندما وقفت السيارة عند المنزل ، بدأ ارتشى لى يطلق الرصاص بلا حساب وهو يترنح ويبكى ·· ويهتف :

– بيبى دول ·· طفلتى ·· بيبى ·· بيبى دول ··

وخرجت العمة روز الى البـــاب ·· ووقفت تنظر الى رجال البوليس وهم يتجمعون حول ارتشى لى ·· ثم يأخـــذونه معهم الى ســـيارتهم ··

وفى صوت ناعم هادىء راحت العمة روز تغنى أنشودة دينية

وقفز فاكارو من الشجرة ·· ووقف فاتحا ذراعيه ··

وضحكت بيبى دول ··



السعادة والنجاح وكتب الغد





قفزت بالكتاب العربي مائة عام الى الأمام





نشر وتوزيع: مؤسسة:

١٤ شارع عماد الدين
القاهرة تليفون ٤١٣٠٣

كامل مهدي